البحث الحادي عشر

آيات الهداية العامة

وسُبل الإفادة منها في حوار الحضارات

إعداد الدكتور

محمد عبد اللّه فهمي عبد العزيز

المدرس بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

آيات الهداية العامة وسبل الإفادة منها في حوار الحضارات

محمد عبد الله فهمي عبد العزيز
قسم الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر
البريد الإلكتروني: MohammedAbdelAzeez١٣٣@azhar.edu.eg

الملخص:

إن عالم اليوم قد علت فيه صيحات الصدام والحرب، وساد في أحيان كثيرة منه منطق القوة، ليحتاج إلى خطاب إسلامي يحاول نشر السلم والأمن بين البشر، خطاب يحاول جسر الفجوات، وتقليل الخلافات، وتأكيد وتوسيع القواسم المشتركة بين الحضارات، من أجل أن نصل جميعا إلى عالم متعاون في مواجهة التحديات التي تواجه البشرية، والبيئة المحيطة بهم، ومن أجل بناء عالم يتعايش سلميًّا، ويبني لغد أفضل من عالم اليوم. فآثرت أن أتناول آيات الهداية العامة، وبيان كيف يمكن الإفادة منها في حوار الحضارات، ويهدف البحث إلى بيان نظرية الهداية في القرآن الكريم، وتحديد مستويات الهداية، ومدلولات الهداية في القرآن الكريم. وتحليل المضامين التي اشتملت عليها آيات الهداية العامة في القرآن الكريم، وبيان كيف يمكن الإفادة من مضامين آيات الهداية العامة في بناء وإنشاء خطاب دعوي معاصر يفيد في حوار الحضارات المنشود في عالم اليوم. وقد استخدم البحث المنهج الاستقرائي؛ بحيث تم تتبع وحصر وجمع آيات القرآن الكريم التي تبدأ بالنداءات العامة (يا أيها الناس)، (يا أيها الإنسان)، (يا بني آدم). كما استخدم البحث المنهج التحليلي في تحليل مضامين آيات الهداية العامة، واستخراج مفردات الخطاب الذي يساعد في حوار الحضارات، وكان من نتائج البحث أن انتهى إلى معرفة مدى غزارة المعين القرآني، والذي يمكن الإفادة منه في كل زمان. وأن آيات الهداية العامة كنز يحتاج إلى مزيد من التأمل والاستفادة، وأن العالم في حاجة إلى خطاب دعوي يوقف غير المسلمين على محاسن الدين الإسلامي، وعلى رؤاه المساعدة على نشر السلم والأمن الدوليين. وأنه يجب

على عالم اليوم والغد أن يحرص على تدعيم القواسم المشتركة بين الثقافات، وتحويلها إلى منطلقات تعاون وتكامل، وقد انتهى البحث إلى توصية مقدمة للباحثين والمؤسسات المعنية بتحويل هذا البحث إلى ورشة عمل من أجل بيان أوجه قصوره، وأوجه الإفادة منه، والنظر في البناء عليه ليتم إنضاج هذا الخطاب الدعوي الذي يحتاجه العالم المعاصر.

الكلمات المفتاحية: آيات الهداية، سبل، الإفادة، حوار الحضارات

Verses of general guidance and ways to benefit from them in the dialogue of civilizations

Muhammad Abdullah Fahmy Abdel Aziz
Department of Islamic Culture, Faculty of Islamic Da'wah in Cairo, Al-Azhar University, Egypt
E-mail: MohammedAbdelAzeez١٣٣@azhar.edu.eg

Abstract;

Today's world has become increasingly loud, and the logic of force has often prevailed. It needs an Islamic discourse that attempts to spread peace and security among people, a discourse that attempts to bridge gaps, reduce differences, and confirm and expand the commonalities between civilizations, In order for us all to reach a cooperative world in facing the challenges facing humanity and the environment surrounding them, and in order to build a world that coexists peacefully and builds a better tomorrow than the world of today. I chose to address the general guidance verses and explain how they can be benefited from in the dialogue of civilizations. The research aims to explain the theory of guidance in the Holy Qur'an, determine the levels of guidance, and the meanings of guidance in the Holy Qur'an. And an analysis of the contents contained in the general guidance verses in the Holy Qur'an, And an explanation of how the contents of general guidance verses can be benefited from in constructing and creating a contemporary advocacy discourse that is useful in the desired dialogue of civilizations in today's world. The research used the inductive method. So, the verses of the Holy Qur'an that begin with general calls (O people), (O mankind), and (O children of Adam) were traced, counted, and collected. The research also used the analytical method in analyzing the contents of general guidance verses and extracting the vocabulary of discourse that helps in the dialogue of civilizations, One of the results of the research was to know the extent of the abundance of Qur'anic sources, which can be

benefited from at all times. The verses of general guidance are a treasure that needs more contemplation and benefit, and that the world is in need of an advocacy discourse that will encourage non-Muslims to recognize the virtues of the Islamic religion and its visions to help spread international peace and security. The world of today and tomorrow must be keen to strengthen the commonalities between cultures and transform them into starting points for cooperation and integration, The research concluded with a recommendation to the researchers and institutions concerned with converting this research into a workshop in order to clarify its shortcomings, the ways in which it can benefit from it, and to consider building on it to mature this advocacy discourse that the contemporary world needs.

Keywords: Verses of guidance, Ways, Benefit, Dialogue of civilizations.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد؛ فإن القرآن الكريم معين لا ينضب، وقد احتوى على كنوز من المعارف والأسرار التي يمكن الإفادة منها في كل زمان، يجد المتأمل في آياته ومعانيه خطابا يعالج قضايا كثيرة مستجدة، ويحل إشكالات متجددة أو ملحة في الأزمنة المعاصرة، وذلك أنه كتاب الله تعالى كما قال عنه الرسول الكريم ﷺ في قوله: "كتاب الله فيه خبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة رد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه دعا إلى صراط مستقيم"(١).

وقد اخترت الآيات القرآنية التي كان النداء فيها بصيغة العموم، وبدأت بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، أو ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾، أو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾، وصنفت هذه الآيات تحت عنوان: آيات الهداية العامة، وقمت بدراستها وتحليل مضمونها، واستخراج خطاب دعوي يفيد في الحوار بين الحضارات، وقد قمت بدراستها على النحو السابق، وسميت البحث بعنوان: "آيات الهداية العامة وسبل الإفادة منها في حوار الحضارات".

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن عالم اليوم وقد علت فيه صيحات الصدام والحرب، وساد في أحيان كثيرة منه منطق القوة، ليحتاج إلى خطاب إسلامي يحاول نشر السلم والأمن بين البشر، خطاب يحاول جسر الفجوات، وتقليل الخلافات، وتأكيد وتوسيع القواسم المشتركة بين

(١) المصنف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ)، (٤١٥/١٦)، حديث (٣٢٠٠١)، تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، تقديم: ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.

الحضارات، من أجل أن نصل جميعا إلى عالم متعاون في مواجهة التحديات التي تواجه البشرية، والبيئة المحيطة بهم، ومن أجل بناء عالم يتعايش سلميًّا، ويبني لغد أفضل من عالم اليوم. فآثرت أن أتناول آيات الهداية العامة، وبيان كيف يمكن الإفادة منها في حوار الحضارات.

تساؤلات الدراسة:

يدور هذا البحث حول جملة من التساؤلات؛ وهي:

١- ما المقصود بالهداية ومستوياتها في القرآن الكريم؟

٢- ما المقصود بالهداية العامة؟ وما الآيات التي اشتملت على خطاب الهداية العامة؟

٣- ما حوار الحضارات وما أهميته في العالم المعاصر؟

٤- ما المضامين التي اشتملت عليها آيات الهداية العامة؟

٥- ما سبل الإفادة من آيات الهداية العامة في تقديم خطاب دعوي يفيد في الحوار بين الحضارات؟

منهج الدراسة:

اعتمدت على منهجين من المناهج البحثية هما:

[١] المنهج الاستقرائي: وهو يعتمد على الاستقراء بمعناه المعروف عند العلماء هو تتبع جزئيات الشيء، وفي اصطلاح المنطقيين هو الحجة التي يستدل فيها من استقراء حكم الجزئيات على حكم كليها فإن كان استدلال فيها من استقراء حكم جميع الجزئيات فالاستقراء تام وإلا فناقص[(١)]. واستخدمته في تتبع آيات الهداية العامة في القرآن الكريم، وجمعها ووضعها تحت التأمل والنظر للإفادة منها.

---

(١) ينظر: الكليات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، (ص:١٠٥)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق ١٢هـ)، (٧٢/١)، ترجمة من الفارسية إلى العربية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

[٢] المنهج التحليلي: وهو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفكيكًا، أو تركيبًا، أو تقويمًا. فإذا كان الإشكال تركيبة منغلقة من التراث أو الفكر الإسلامي المعاصر قام المنهج التحليلي بتفكيكها، وإرجاع العناصر إلى أصولها، أما إذا كان الإشكال عناصر مشتتة فإن المنهج يقوم بدراسة طبيعتها ووظائفها، ليركب منها نظرية ما، أو أصولا ما، أو قواعد معينة(١). واستخدمته في تحليل آيات الهداية العامة، وبيان مضامينها، ومحاولة استنتاج خطاب دعوي يفيد في حوار الحضارات.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

١- بيان نظرية الهداية في القرآن الكريم، وتحديد مستويات الهداية.

٢- تحليل مضامين آيات الهداية العامة في القرآن الكريم.

٣- الإفادة من مضامين آيات الهداية العامة في بناء خطاب دعوي يفيد في حوار الحضارات.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في سؤال مهم: هل لغير المسلمين حظ من هدايات القرآن الكريم؟ فجاء هذا البحث لتقديم الهداية العامة للعالم من واقع القرآن الكريم؛ بحيث نرى حظ غير المسلمين من هدايات القرآن.

حدود الدراسة:

الآيات المصدرة بنداءات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسات سابقة تناولت هذا الموضوع بالبحث والتحليل، ولكني وجدت طرحًا موجزًا لها في كتاب المدخل إلى أصول التفسير، للأستاذ الدكتور أسامة السيد محمود الأزهري، وقد طبعته دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر، سنة ٢٠١٠م.

---

(١) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د. فريد الأنصاري، (ص: ٩٦)، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ذو القعدة ١٤١٧هـ إبريل ١٩٩٧م.

إجراءات الدراسة:

١- قمت بتتبع آيات الهداية العامة في القرآن الكريم وتصنيفها تحت جوامع ثلاثة، وهي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾.

٢- قمتُ بتخريج جميع الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها الحديثيَّة. وذكرت حكمًا مختصرًا على الأحاديث خارج الصَّحيحين.

٣- اعتمدتُ في مراجع الدِّراسة في الشق المتعلق بالآيات على كتب التفسير الأصيلة والمعاصرة، محاولا استخراج شواهد منها على المضامين المفيدة في بحثي؛ بحيث تكون الألفاظ واضحة الدلالة على مقصود بحثي.

٤- قمتُ بنسبة كلِّ معلومةٍ لصاحبها، وقمتُ بتوثيق المعلومات المنقولة في هامش الصَّفحة، وأكتفي بذكر بيانات الكتاب عند ورود الكتاب أوَّل مرَّةٍ، ولا أكرِّر ذلك في باقي مرَّات ذكره. وأمَّا العزو لمواضع الصَّفحات؛ فإذا كان الكتاب مكوَّنًا من أجزاءٍ؛ فإنّي أضع رقم الجزء أولا، ثمَّ بعد شرطة مائلة أكتب رقم الصَّفحة.

٥- وإذا كان الكتاب جزءًا واحدًا؛ فأكتفي بحرف (ص) عن كلمة (صفحة). وفي عزو الآيات القرآنيَّة جَعلت العزو بجوار الآية في صلب الصَّفحة، وليس في الهامش؛ وذلك تمييزًا للقرآن الكريم عن غيره من المصادر.

٦- ترجمت للأعلام التي وردت في الرِّسالة من مظانها المتخصصة.

٧- ألحقتُ بالدِّراسة فهرسين للمراجع والموضوعات؛ ورتبتُ فهرس المراجع مراعيا التَّرتيب الأبجدي.

خطة الدراسة:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة؛ وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: فيها عرض للموضوع وأهميته وتساؤلات الدراسة ومنهجها وخطتها.

المبحث الأول: نظرية الهداية في القرآن الكريم، وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الهداية لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: الهداية في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: آيات الهداية العامة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: التعريف بحوار الحضارات وضرورته البشرية، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: تعريف حوار الحضارات.

المطلب الثاني: أهمية حوار الحضارات.

المبحث الثالث: مضامين آيات الهداية العامة والإفادة منها في حوار الحضارات، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: مضامين آيات يا أيها الناس.

المطلب الثاني: مضامين آيات يا بني آدم.

المطلب الثالث: مضامين آيات يا أيها الإنسان.

المطلب الرابع: طرق الإفادة من مضامين آيات الهداية العامة في حوار الحضارات.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

والله أسأل النفع والتوفيق، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
نظرية الهداية في القرآن الكريم

في هذا المبحث نتعرف على نظرية الهداية كما يعرضها القرآن الكريم، ولكن قبل الولوج إلى تفاصيل هذا يجدر بنا الوقوف على معنى الهداية لغة واصطلاحا، ثم نذكر آيات الهداية العامة في القرآن الكريم، ولهذا فقد قسمت المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الهداية لغة واصطلاحا

الهداية لغة: بالنظر في الجذر اللغوي (هـ د ى) ومشتقاته تنحصر المعاني في أصلين اثنين:

الأول: التقدم للإرشاد، ومنه هداية الطريق، وهداية الدين.

والثاني: بعثة لطف، ويندرج تحته الهدايا المقدمة بين ذوي المودة(١).

والأصل الأول هو المقصود في هذا البحث، والهداية على هذا تعني: الرشاد والدلالة بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب(٢).

والهدى ضد الضلال، وهو الرشاد، واسم الله الهادي: هو الذي بَصَّر عباده، وعرَّفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده(٣).

فتقرر مما سبق أن الهداية في المعنى اللغوي تنحصر في الدلالة إلى المطلوب معرفته، بما يرفع الجهالة عن المَهْدِي.

الهداية اصطلاحا:

تعرف الهداية بأنها الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب، أو هي سلوك

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، مادة (هدى)، (٦/٤٢-٤٣)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، طبعة: ١٣٩٩هـ.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، مادة (هدى)، (ص: ٨٣٥)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم- الدار الشامية، دمشق -بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، مادة (هدى)، (٤٠/٢٨٢)، من إصدارات: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (١٣٨٥- ١٤٢٢هـ ١٩٦٥- ٢٠٠١ م).

(٣) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، مادة (هدى)، (١٥/٣٥٣)، تحقيق: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.

طريق يوصل إلى المطلوب[١].

ولكن هل يشترط في الهداية الإيصال إلى المطلوب أو لا؟ والاختلاف في إجابة هذا السؤال أوجب اختلافا في تعريف الهداية، فمن لم يشترط عرفها بأنها الدلالة على طريق من شأنه الإيصال سواء حصل الوصول بالفعل في وقت الاهتداء أو لم يحصل. ومن اشترطه عرفها بأنها الدلالة الموصلة إلى المطلوب[٢].

والحقيقة أن كلا التعريفين صحيحان، وأن الهداية تطلق على المعنيين، دون حاجة إلى جعل أحد الإطلاقين حقيقي، والآخر مجازي. وأيضا لا بد من ملاحظة أن المعنى الأول للهداية يقصد به الدلالة على الطريق والتعريف له على وجه يترتّب عليها التعرّف، لا مجرّد الإتيان بما يوجب التعرّف عادة سواء حصل التعرّف أم لا[٣]. وحتى يكون سَوق الهداية وافيا بالمطلوب فيراعى فيها الكفاية في الدلالة لمن أراد الوصول إلى الصواب.

---

(١) ينظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، (ص: ٢٥٦)، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، (ص: ٣٤٣)، عالم الكتب –القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

(٢) ينظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، (ص: ٩٥٢–٩٥٣). كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، (١٧٣٧/٢–١٧٣٨)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، ترجمة من الفارسية إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة الأولى – ١٩٩٦م. دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق ١٢هـ)، (٣٢٧/٣).

(٣) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، (١٧٣٩/٢).

المطلب الثاني: الهداية في القرآن الكريم

مادة (هدى) في القرآن الكريم:

وردت مادة (هدى) وصيغها في القرآن الكريم (٣١٦) مرة، وما يخص موضوعنا (٣٠٧) مرة، والصيغ التي وردت توزعت على النحو التالي:

[١] الفعل الماضي: ورد ٥٥ مرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣].

[٢] الفعل المضارع: ورد ١٢٦ مرة، منها قوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٨٨].

[٣] فعل الأمر: ورد ٣ مرات، منها قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

[٤] اسم الفاعل: ورد ٣١ مرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

[٥] المصدر: ورد ٨٥ مرة، منها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

[٦] أفعل التفضيل: ورد ٧ مرات، منها قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١][(١)].

مادة (هدى) بين اللزوم والتعدي:

وردت مادة (هدى) في الكتاب العزيز على ثلاثة أوجه:

[١] معدى بنفسه؛ كقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] وقوله

(١) ينظر: موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، (١٢٥/٣٤)، صدرت عن مركز تفسير للدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠].

[٢] مُعَدًّى بِاللَّامِ كقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾ [يونس: ٣٥].

[٣] مُعَدًّى بِإلى كقوله تعالى: ﴿ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ [ص: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٣][(١)].

ولعل السبب في ذلك أن الهداية تتضمن معاني بعضها يقتضي التعدية بنفسه، وبعضها باللام، وبعضها بإلى، وذلك بحسب اشتمالها على إرادة الطريق، والإشارة إليها وتلويح السالك لها. فبملاحظة الإرادة يتعدى بنفسه، وبملاحظة الإشارة يتعدى بإلى، وبملاحظة التلويح يتعدى باللام. وفي حذف أداة التعدية إخراج له مخرج المتعدي إلى المفعولين بالذات. وعلى ذلك يمكن القول أن فعل الهداية متى عدي بإلى تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة فأتي بحرف الغاية، ومتى عدي باللام تضمن التخصيص بالشيء المطلوب فأتي باللام الداخلة على الاختصاص والتعين، وإذا تعدى بنفسه تضمن المعنى الجامع لذلك كله، وهو التعريف والبيان والإلهام[(٢)].

فعلم مما سبق أن الهداية إما لازمة أو متعدية:

والهداية اللازمة تعني وجدان الموصِّل أو سلوك الطريق الموصِّل، وهي تقابل الضلالة.

والهداية المتعدية تعني الدلالة على الموصل إلى المطلوب سواء حصل وصول بالفعل أو لا، وتطلق أيضا على التوصيل للمطلوب. والهداية المتعدية تقابل الإضلال.

---

(١) ينظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، (ص: ٣٢٥)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: (٨٣٧-٨٣٨).

(٢) ينظر: الكليات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، (ص: ٩٥٣-٩٥٤). كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي الفاروقي الحنفي التهانوي، (١٧٣٨/٢).

وكل من الاستعمالين للهداية المتعدية ورد به القرآن الكريم؛ فمن الأول قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [فصلت: ١٧]. أي دللناهم على الطريق الموصلة للمطلوب فلم يصلوا، فاستحبوا العمى. وليس المراد: فوصلناهم للمطلوب؛ إذ لا يتأتى استحبابهم للعمى بعد ذلك. ومن الثاني قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]؛ أي لا توصله للمطلوب، وليس المراد: أنك لا تدله على الطريق الموصلة؛ لوجودها منه عليه السلام[(١)].

وبهذا علم أن الهداية المتعدية تطلق على معنيين، كلا منهما لغوي، وكلا منهما صحيح.

مدلولات الهداية في القرآن الكريم:

جاءت الهداية في الاستعمال القرآني على الأوجهَ التالية:

١- البيان: قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ﴾ [البقرة: ٥]؛ أي: بيانٍ من ربهم.

٢- الدين، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٣]، ومنه: دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٦٧]، أي: إنك لعلى دين قويم، لا اعوجاج فيه. والتوحيد، قال تعالى: ﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ ﴾ [سبأ: ٣٢].

٣- الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ۗ ﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣]، أي: إيماناً وبصيرة.

---

(١) ينظر: فتح الوهاب بشرح الآداب ومعه حاشية الدسوقي، القاضي زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، (ص: ١٧٩-١٨١)، تحقيق: د. عرفة النادي، دار أصول الدين – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

٤- الدعوة إلى الله، قال الله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١]، أي: يدعون إلى الله.

٥- الدلالة والإرشاد والتعريف، قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦]، أي: جعل سبحانه النجوم في السماء دلائل للناس على طرقهم. وقال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣١]، أي: وجعلنا فيها طرقًا واسعة لتدل الخلق إلى مقاصدهم في الأسفار.

٦- الكتب السماوية، منها: القرآن، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢]. والتوراة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [غافر: ٥٣]. والإنجيل، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٦].

٧- الرسول، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [الإسراء: ٩٤]، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ ﴾ [النجم: ٢٣]، ويمكن أن يفسر الهدى في الموضعين بالدين أو القرآن.

٨- نهج الأنبياء السابقين، قال الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، أي: فاتبع سبيلهم.

٩- الإلهام، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠]، أي ألهم الحيوانات كلها إلى منافعها. وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٣].

١٠- التسديد والتصويب والإصلاح، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٢]، أي: لا يصوبه ولا يسدده.

١١- الرشد، قال الله تعالى: ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦]،

أي: راشدين في صنيعهم ذلك. وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦]، يقول: ما أنا من الراشدين إن اتبعت أهواءكم.

١٢- التفضيل، قال الله تعالى: ﴿فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلَۢا﴾ [الإسراء: ٨٤]، أي أفضل سبيلا.

١٣- التقديم، قال الله تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] ، أي دلوهم إلى طريق النار. قدموهم. سوقوهم سوقاً عنيفاً إلى جهنم.

١٤- الالتزام، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، أي: لزم الإسلام.

١٥- التعليم، قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]، أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم.

١٦- الثبات، قال الله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، أي: بَصِّرنا فيه، وثبتنا عليه.

١٧- التوبة، قال تعالى: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦] [(١)].

وإذا دققنا النظر في هذه المعاني نجدها أنها تدور غالبا حول معنى الإرشاد؛ إذ هو المعنى الأساس الذي تدور حوله كل تلك المعاني.

بيان القرآن الكريم لحاجة البشر إلى الهداية:

خلق الله الإنسان واستخلفه في الأرض، وأعطاه من وسائل المعرفة والحياة ما يكفيه، وهي هداية الإلهام والتكوين، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]. وقد عاش بنو آدم في الأرض في حاجة إلى الهداية، قال تعالى:

(١) ينظر: الكليات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، (ص: ٩٥٤). موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ٣٤/١٢٥-١٢٦.

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨].

وجعل سبحانه وتعالى الدين هداية، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٣].

وهدى الله الرسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ [الأنعام: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٧]. وجعل من الرسل هداة للخلق، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]. وجعل سلوك طريقهم هداية، قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وفي قصصهم هداية، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

وأنزل الكتب السماوية هداية للخلق، قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ ﴾ [آل عمران: ٣-٤]. والقرآن الكريم هداية، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢]. والتوراة هداية، قال تعالى: ﴿ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ ﴾ [المائدة: ٤٤]. والإنجيل هداية، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦].

وجعل المسجد الحرام هدى للناس، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ

مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

أنواع الهداية في القرآن الكريم:

بعد أن تأمل العلماء في آيات الهداية في القرآن الكريم وجدوا أن الهداية تتنوع إلى أنواع، وقد حصرها الراغب الأصفهاني(١) في أربعة أنواع:

الأول: الهداية التي عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة، والمعارف الضرورية التي أعم منها كل شيء بقدر فيه حسب احتماله، وهي المقصودة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠].

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء، وإنزال القرآن ونحو ذلك، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣]

الثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى، وهو المعني بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد: ١٧].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة، وهو المعني بقوله تعالى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٥].

وهذه الهدايات الأربع مترتبة، فإن من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها، ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله.

---

(١) هو الحسين بن محمد الراغب الأصبهاني أحد أعلام العلم ومشاهير الفضل متحقق بغير فن من العلم وله تصانيف تدل على تحقيقه وسعة دائرته في العلوم. من كتبه الذريعة إلى مكارم الشريعة، المفردات في غريب القرآن، تفصيل النشأتين، توفي سنة ٥٠٢هـ. ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، (٢٩/١٣)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، سنة ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، (٢٥٥/٢)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م.

ثم ينعكس، فقد تحصل الأولى ولا يحصل له الثاني ولا يحصل الثالث، والإنسان لا يقدر أن يهدي أحدا إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات[١].

بينما يرى الإمام البيضاوي[٢] أن هداية الله تعالى تتنوع أنواعاً لا يحصيها عد، ولكنها تنحصر في أجناس مترتبة:

الأول: إفاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء إلى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة.

الثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد، وإليه أشار حيث قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠].

الثالث: الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وإياها عنى بقوله: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

الرابع: أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي، أو الإلهام والمنامات الصادقة، وهذا قسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء وإياه عنى بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] [٣].

وبالمقارنة نجد أن الراغب الأصفهاني والبيضاوي اتفقا على نوعين من الهداية، وهما: هداية الإلهام والتكوين، وهداية الدلالة والإرشاد. وانفرد الراغب بهداية التوفيق، والهداية إلى الجنة. وانفرد البيضاوي بهداية الإكرام والإنعام بالعلوم الإلهامية والربانية.

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص: ٨٣٥-٨٣٦).

(٢) هو عبد الله بن عمر الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدقق ناصر الدين الشيرازي البيضاوي، صاحب التصانيف البديعة المشهورة منها: شرح مختصر ابن الحاجب في الأصول، وكتاب المنهاج في أصول الفقه وشرحه أيضا، وشرح المنتخب في الأصول للإمام فخر الدين، وكتاب الإيضاح في أصول الدين، وشرح الكافية في النحو، وشرح المطالع في المنطق. توفي سنة ٦٨٥هـ بتبريز ودفن بها. ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (٢٠٦/١٧).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، (٣٠/١) تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث-بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

ويتفق الكفوي[١] مع البيضاوي في أن هداية الله مع تنوعها على أنواع لا تكاد تنحصر في أجناس مترتبة، ولكنه ذكر منها:

[١] هدايات أنفسية؛ كإضافة القوى الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة.

[٢] هدايات آفاقية، وتنقسم إلى:

[أ] هدايات تكوينية: معربة عن الحق بلسان الحال، وهي نصب الأدلة المودعة في كل فرد من أفراد العالم.

[ب] هدايات تنزيلية: مفصحة عن تفاصيل الأحكام النظرية والعملية بلسان المقال بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

[٣] هدايات خاصة: بكشف الأسرار بالوحي أو الإلهام[٢].

ثم يرى الشيخ محمد عبده[٣] أن الله منح الإنسان أربع هدايات:

الأولى: هداية الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري. وتكون للأطفال منذ ولادتهم، فإن الطفل بعد ما يولد يشعر بألم الحاجة إلى الغذاء فيصرخ طالبا له بفطرته، وعندما يصل الثدي إلى فيه يلهم التقامه وامتصاصه.

الثانية: هداية الحواس والمشاعر، وهي متممة للهداية الأولى في الحياة الحيوانية، ويشارك الإنسان فيهما الحيوان الأعجم.

---

(١) هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء: صاحب الكليّات، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى إستانبول فتوفي بها سنة ١٠٩٤هـ. ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، (٣٨/٢).

(٢) ينظر: الكليات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، (ص: ٩٥٥) بتصرف.

(٣) هو محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. ولد سنة ١٢٦٦. من كتبه: تفسير القرآن الكريم، لم يتمه، ورسالة التوحيد، وشرح نهج البلاغة، والإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، توفي سنة ١٣٢٣هـ. ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، (٢٥٣/٦).

الثالثة: العقل، أعطى الله الإنسان العقل بدلا من الإلهام والوجدان بالقدر الذي أعطاه للنحل والنمل.

الرابعة: الدين، والحاجة إليه لأن العقل يغلط في إدراكه كما تغلط الحواس، وقد يهمل الإنسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته الشخصية النوعية ويسلك بهذه الهدايات مسالك الضلال، فيجعلها مسخرة لشهواته ولذاته حتى تورده موارد الهلكة، فتأتي هداية الدين لتضبط له ذلك(١).

هذه فهوم العلماء للهداية ومفهومها من خلال عرض القرآن الكريم لها، أردت جمعها وتقديمها لنقف على اتساع هذا المفهوم الرباني، لعله يفيدنا في الإحاطة بهذا المفهوم ومستوياته المتعددة.

(١) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (١/٥٢-٥٣)، الهيئة المصرية للكتاب، سنة ١٩٩٠م.

المطلب الثالث: آيات الهداية العامة في القرآن الكريم

بعد البيان السابق في المطلب الثاني أضيف أن الهداية بمعنى الإرشاد والدلالة تنقسم إلى قسمين:

الأولى: الهداية الخاصة

وهي مجموعة الشرائع والأحكام والتوجيهات الربانية التي خاطب الله بها من آمن به وصدق رسوله، واتبع كتابه، وأقر لله بالحاكمية، وأقر لشرعه بالحجية فاحتكم إليه، وفي هذا النوع من الهداية يقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢]. ويمكن التمثيل للهداية الخاصة بكل آية فيها خطاب للمؤمنين لأنها تأمر بالأحكام الشرعية.

الثانية: الهداية العامة

وبها خاطب الله تعالى الخلق أجمعين، وبسط لهم وجوه الحق، وشرح لهم مداخله، ورفع لهم معالمه، حتى تنجلي قضية الإيمان تماما، وهو في كل ذلك لا يفرق بين مؤمن وكافر، أو مقبل أو مدبر، أو مقر أو معاند. وهذه الهداية مجموعة من المبادئ والنظم التي خاطب الله تعالى بها الخلق أجمعين، وجعلها حظا من هدي القرآن لعموم البشر، دون فرق بين من آمن ومن لم يؤمن، مما يمكن أن تستخرج منه مواثيق إنسانية، وقوانين عامة، تحكم الاجتماع البشري بكل فئاته وأطيافه وتوجهاته، وهذا النوع هو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فجعل القرآن هنا هدى للناس دون تخصيص لذلك الهدى بفئة أو بتوجه، بل هو هداية لكل الناس(١).

ومن الآيات التي تشير إلى هذين القسمين من الهداية قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] فانتبه إلى

(١) ينظر: المدخل إلى أصول التفسير، د. أسامة السيد محمود الأزهري، (ص: ٢٣-٢٥)، دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

التقسيم العجيب؛ حيث إن القرآن الكريم تبيان لكل شيء أولا، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ثانيا، فكأن التبيان الشامل المتضمن للكشف والإبانة عن كل شيء كأنه أمر عام، لا ينتفع به المؤمنون دون من سواهم من أمم الأرض[1].

وقد بين الإمام ابن جزي الغرناطي[2] هذا المعنى في تفسيره: "التسهيل لعلوم التنزيل"؛ حيث يقول: "﴿ هُدًى ﴾ هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين، ولو كان بمعنى البيان لَعَمَّ؛ كقوله: ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾[3].

ويمكن حصر آيات الهداية العامة بأنها الآيات التي تبدأ بـ (يا أيها الناس)، و(يا أيها الإنسان)، و(يا بني آدم)، وبيانها على النحو التالي:

أولا: الآيات التي تبدأ بـ (يا أيها الناس):

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]

٢- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ١٦٨].

٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ

---

(١) المرجع السابق، (ص: ٢٤) بتصرف يسير.

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم، فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة، ولد سنة ٦٩٣هـ. من كتبه: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، وتقريب الوصول إلى علم الأصول، والتسهيل لعلوم التنزيل، ووسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، توفي سنة ٧٤١. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، شهاب الدين، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، (٨٨/٥-٨٩)، الأعلام، (٣٢٥/٥).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، (٦٩/١)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٦ هـ.

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

٤- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٧٠].

٥- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤].

٦- ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٧- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٢٣].

٨- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

٩- ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٤].

١٠- ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس: ١٠٨].

١١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١].

١٢- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ

نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ [الحج: ٥].

١٣ـ ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الحج: ٤٩].

١٤ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣].

١٥ـ ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النمل: ١٦].

١٦ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣].

١٧ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣].

١٨ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥]

١٩ـ ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥].

٢٠ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ثانيا: الآيات التي تبدأ بـ (يا أيها الإنسان)

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩ ﴾ [الانفطار: ٦-٩].

٢- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ١٥ ﴾ [الانشقاق: ٦-١٥].

ثالثا: الآيات التي تبدأ بـ (يا بني آدم):

١- ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦-٢٧].

٢- ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

٣- ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٥].

٤- ﴿ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [يس: ٦٠]

المبحث الثاني
التعريف بحوار الحضارات وضرورته البشرية

إن القارئ المتدبر لأكثر فصول تاريخ الإنسانية يعلم يقينا أنه ما من أمة إلا كانت لها عقيدة أو فلسفة تؤمن بها، وتتجلى في مظاهر شتى من سلوك أبنائها وتصوراتهم ومفردات حياتهم.

ويمكن حصر صور العلاقة بين الحضارات في صور ثلاثة:

١ـ **الذوبان الحضاري**، أي ذوبان الحضارات الضعيفة أو الأقل تأثيرا في الحضارات الأقوى.

٢ـ **الصراع الحضاري**، أي تنافسها والعمل على إلغاء الأخرى، وعدم الاستفادة منها ومن منجزاتها الحضارية.

٣ـ **التفاعل الإيجابي الحضاري**، أي التواصل بين الحضارات والاستفادة المتبادلة من المنجزات الحضارية للحضارات الأخرى من أجل الوصول إلى سنة التكامل، إنه تفاعل من أجل التكامل.

وقد دعا الإسلام بل وطبقت الحضارة الإسلامية ما دعا إليه الإسلام من التفاعل الإيجابي بين الحضارات المختلفة، فاستفادت الحضارة الإسلامية من الحضارات المعاصرة لها والسابقة عليها، ولم تكن الحضارة الإسلامية مجرد ساعي بريد، أو ناقلة للتراث الحضاري السابق عليها، بل طورت ذلك التراث الحضاري، وأبدعت تراثا حضاريا متميزا، ثم جاء الغرب في بداية إفاقته من عصور الظلام الوسطى واستفاد وتفاعل مع الحضارة الإسلامية إلى أن وصلت الحضارة الغربية إلى أوج قوتها ومنتهى ازدهارها، وها نحن اليوم نعيد الكرة ونأخذ من الحضارة الغربية منجزاتها ونستفيد منها، ولكن المبدأ الذي سارت عليه الحضارة الإسلامية في القديم، ويجب أن تسير عليه في الوقت الحالي هو: أن نستفيد من الآخرين ما ينفع لا ما يضر، دون الذوبان في الآخر، بل مع الاحتفاظ بالخصوصية الحضارية الإسلامية.

وهذا التفاعل الإيجابي بين الحضارات من صوره الحوار بين الحضارات وتعارفها، وهذا المبحث ينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: تعريف حوار الحضارات

حوار الحضارات هو مصطلح يشير إلى التفاعل والتفاهم بين مختلف الثقافات والحضارات البشرية بهدف تعزيز التعايش السلمي وتقليل النزاعات. ظهر هذا المفهوم استجابة لتزايد التوترات العالمية، خاصة بعد الحروب والنزاعات الثقافية والدينية، حيث يتم التركيز على إيجاد أرضية مشتركة بين الحضارات المختلفة.

ويمكن تعريف حوار الحضارات بأنه حالة من التشاور والتفاعل، والقدرة على التكيف بين الشعوب المختلفة بما تحمله جميع الأطراف من أفكار مخالفة، والقدرة على التعامل مع جميع الأفكار والآراء السياسية والدينية والثقافية، ويكون الهدف من هذا الحوار القدرة على التعارف والتواصل والتفاعل والاحتكاك الحضاري بين الشعوب، والاستفادة من قيم الحضارات المختلفة وتبادلها عند حصول الحوار الحضاري(١).

أو هو من حيث مفهومه العلمي: ذلك الحوار الذي يتم بين الحضارات بتوسط المنتمين إليها، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي أو الشعبي أو الرسمي، وسواء كان حوارا كلاميا أو حوارا غير كلامي، أو منظما أو غير منظم وفي أي مجال كان، وذلك لهدف موضوعي. أما بمعناه المتبادر والشائع، فإن حوار الحضارات يقصد به الحوار الكلامي المنظم بين أتباع الحضارات الهدف منه موضوعي(٢).

وحوار الحضارات بالمفهوم الحضاري يعني: البحث عن المشترك بين الأمم في القيم والآداب والأنماط الحوارية، وإحلال التعايش محل المواجهة مع الإقرار بأن التنوع حقيقة، والاختلاف حق، من هنا كان المقصد من الحوار الحضاري: التقريب بين الفرقاء بالتعاون على المتفق عليه، والالتفاف حوله بحثا عن الموائمة، ونبذا للمشاحنة، بيد أن الحوار في سياقه الحضاري لا يعني التماثل بين الطرفين ونسخ المهيمن الأقوى

(١) أسس حوار الحضارات في الإسلام، محمد جعرير، (ص: ١٥)، الأكاديمية للدراسات الانسانية والاجتماعية، جزء قسم العلوم الاجتماعية. العدد ١٩، ٢٠١٨م.

(٢) نظريات حوار وصدام الحضارات، محمد بو الروايح، (ص: ٢١)، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع- قسنطينة، ٢٠١٠م.

لهوية الآخر المختلف، والانسلاخ عن المعتقد الأصلي والثوابت المرعية، وإلا كان عاريا عن الشرعية العلمية، ومفرغا من الدلالة الحضارية، ومكرسا للهيمنة المتسلطة(١).

ويمكن القول أن الحوار بين الحضارات يرتكز في بدايته على فهم ومعرفة الآخر؛ لأن أبناء الحضارات الأخرى لن يسلموا لنا بنموذجنا المعرفي الخاص، ويلي الفهم والتعارف محاولة عرض هذه الأصول بصورة مقنعة حتى يتحقق إما التفاهم أو التفاعل.

حوار الحضارات ينبغي أن يمر بمرحلتين أساسيتين:

الأولى: التعارف وفهم الآخر.

الثانية: محاولة الوصول إلى التفاهم بين الحضارات، ومعرفة ما عند الآخر من رؤى وأفكار، أو التفاعل الإيجابي بين الحضارات الذي يعود بالنفع والفائدة على أفراد الإنسان.

فيتوجب علينا في التعامل مع الحضارات "رفض المناهج التي تدعو إلى الانتحار والانبهار أو الاجترار أو الانحسار أو الاغترار.

فمنهج الانتحار يؤدي إلى التكفير المؤدي في نهاية الطريق إلى التدمير والتفجير، وهو مرفوض.

ومنهج الانبهار بالآخر والتعدي على مصادر الشرع من غير المتخصص بالإفراط أو التفريط؛ حتى يخرج علينا من ينكر الإجماع، أو يخرج عن مقتضيات اللغة، أو عن هوية الإسلام، أو يحول الإسلام إلى لاهوت التحرر، أو لاهوت العولمة.

ومنهج الانحسار الانعزالي الذي يؤدي إلى الفرار من الواقع الذي يشبه الفرار يوم الزحف، منهج مرفوض أيضا، باعتبار أن مخالطة الناس والصبر عليهم خير عند الله من العزلة، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

---

(١) الإسلام والغرب بين إشكاليات الصراع الثقافي وآفاق الحوار المنشود- مقاربة تحليلية نقدية، محمد شهمات، (ص: ١٦٨)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الرباط، ٢٠٠٧م. والحوار الحضاري رؤى واتجاهات، أ.د سعاد نزاري، (ص: ٨٧٠)، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية – المجلد التاسع – العدد الخامس والاربعون مايو ٢٠٢٤م.

أما منهج الاجترار فإنه يتمثل في التمسك بمسائل التراث تمسكا يحكي صورتها دون الوقوف عند مناهج التراث والتجريد أمامها حتى يمكن تطويرها إن احتاجت إلى تطوير، أو الاستفادة بها حتى على حالها إن كانت تصلح لذلك.

فهو منهج يعيش في الماضي، يريد بإصرار أن نتغاضى عن واقعنا، وأن نستمر في واقع قد تغيرت عليه الحياة، حتى رأينا كثيرا من الناس يخرجون من دين الله أفواجا لظنهم أن هذا هو دين الله، وأن دين الله بذلك من طبيعته ألا يصلح لزماننا هذا، وهو وهم خاطئ ومخطئ، خاطئ لأنه مخالف للحق، ومخطئ لأنه مخالف للواقع.

أما منهج الاغترار فنراه عند كثير من خارج الدراسات الدينية الأكاديمية، الذين أقحموا أنفسهم في مجال الكلام في الشرع الشريف تشهيا لإصلاح الدين بزعمهم تارة أو للإدلاء بآرائهم التي يرونها مهمة تارة أخرى، وقد تراه أيضا عند الدارسين للدراسات الشرعية في مراحلها الأولى مع ظن لا يتناسب مع ظن العلماء الراسخين في العلم، حيث يعتقدون أن لهم الحق في تجديد الدين، غافلين عن قلة بضاعتهم الشرعية من ناحية والمسافات الشاسعة بينهم وبين إدراك الواقع من ناحية أخرى.

فهذا النمط من الاغترار هو أخطر الأنماط، لأنه قد حصَّل شيئا من العلم الشرعي، إلا أنه لم تكتمل أدواته حتى يصل إلى مرتبة المجددين"[1].

فعلم من هذا البيان السابق أن المنهج المقبول في التعامل مع الحضارات الأخرى هو منهج الإفادة من منجزاتهم الحضارية، وإفادتهم كذلك بما عندنا من منجزات حضارية، وهو ما يسمى بالتفاعل الحضاري اختصارا، نفعل ذلك في ثقة بحضارتنا، وانتماء لها، واعتزاز بها، وسعي في تجديدها وتطويرها لمواكبة التطورات الحضارية، وتقديمها في صورة لافتة للنظر ملائمة لإنسان العالم المعاصر، بل وإنسان عالم المستقبل.

(١) سمات العصر رؤية مهتم، أ.د. علي جمعة، ص: ٣٧-٤١ بتصرف، دار الفاروق، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

المطلب الثاني: أهمية حوار الحضارات

في عالم اليوم، تتزايد أهمية التفاعل بين الحضارات والثقافات المختلفة، وذلك في ظل تزايد العولمة والاحتكاكات الناتجة عنها. وإن حوار الحضارات يجب أن يهدف إلى تعزيز التفاهم المتبادل والاحترام بين الشعوب ذات الخلفيات المختلفة، والتقليل من النزاعات التي تنشأ نتيجة لسوء الفهم أو اختلاف الثقافات. كما يعد هذا المفهوم جزءًا من الجهود العالمية للحفاظ على السلم الدولي وتعزيز التعاون بين الدول.

إن ثمة موروث ضخم من العداوة بين الحضارتين الإسلامية والغربية، ولا يزال ذلك الموروث مؤثرا فاعلا، إنه يعيش في الذهن الجمعي للأفراد، وتجده حاضرا في كل صدام وحادث. إن سياسي الغرب وقادته وأقطاب فكره والمنظرين له لا يزالون يستحضرون التاريخ الطويل لذلك الصراع، وينطلقون منه في رسم سياستهم، وطرح أفكارهم، وتحليل الأحداث، والتفاعل معها.

الهدف من حوار الحضارات:

يسعى بعض قادة الشعوب والكثير من أئمة الفكر لإحياء الحوار الحضاري لتحقيق الأهداف التالية:

[١] محاولة إيجاد عالم يسعى إلى السلام بدلا من الصراع، والبعد عن سياسات فرض الرأي بالقوة، واحتواء حالات الصدام بين الدول.

[٢] التصدي للجهود غير الإنسانية العالمية التي تنتقص من حقوق الإنسان، وتكرس الانتهاكات التي يتعرض لها الإنسان.

[٣] بناء جسور من التواصل والتعارف بين الشعوب، وتبادل المعارف الثقافية والحضارية من أجل تحقيق معرفة الآخر، والتفاهم بين الحضارات.

[٤] محاولة الوصول إلى التفاعل الإيجابي بين الحضارات بما يعود بالنفع والفائدة على أفراد الإنسان.

الأسس التي يبنى عليها حوار الحضارات:

لكي ينجح الحوار بين الحضارات لا بد له من أسس سليمة يؤسس عليها، أسس تقبلها جميع الأطراف وتتعامل بموجبها، نذكر منها على سبيل المثال:

[١] اعترف أطراف الحوار ببعضهم البعض، حيث إن الحوار يتطلّب قبولاً مبدئيّاً من كافة الأطراف بحقه في الوجود، وخصوصيته التي لا ينبغي لأحد تغييرها، وحقه بالحفاظ على مقوماته، وتناقلها عبر أجياله المتعاقبة. والاعتراف بالآخر لا يعني أننا ندرك وجود الحيوانات والجمادات والأشياء الأخرى من حولنا، وإنما يتطلّب حصول تقارب بين المتعارفين، والاقتناع بأن كل من أطراف الحوار مختلف عن الآخر، وغير ذلك يؤدي إلى محاولة كل طرف غزو وتدمير الطرف الآخر، مما يؤدي إلى عيش العالم بالصراع والصدام الدائم بعيداً عن الحوار والتعارف.

ومن لوازم الاعتراف بالآخر أن يكون لكل طرف من أطراف الحوار الحق في إبداء الرأي، وتوضيح موقفه من الأمور التي يتم الحوار حولها مهما كان هناك اختلاف في وجهات النظر(١).

[٢] الاحترام المتبادل بين الأطراف، أيا كان جنسها أو لونها أو عقيدتها أو قوتها العسكرية أو الاقتصادية، والاختلاف لا يعني بالضرورة التصادم والتناحر، وبالحوار يتعايش الناس رغم الخلاف والتنوع.

[٣] التعارف والانفتاح الثقافي، وليس الانغلاق المحكم الذي يؤدي بنا إلى الخوف من الآخر المجهول، فتعميق الوعي بالآخر وثقافته ومجريات حياته يجعله بالنسبة لنا أقل غرابة، ويجعل الحوار معه أكثر يُسرًا وأسهل مأتى وتناولا (٢).

[٤] الإقرار بأن الحضارة الإنسانية إرث عام لكل أبناء البشرية، لم تقم به حضارة

---

(١) أسس حوار الحضارات في الإسلام، محمد جعرير، (ص: ١٦) بتصرف يسير.

(٢) أسس الحوار الحضاري، أ.د/ محمد مختار جمعة، موقع وزارة الأوقاف المصرية، على الرابط التالي: https://ar.awkafonline.com/?p=٨٧٥٥. تاريخ النشر: الجمعة ١٠ رجب ١٤٣٥هـ ٩-٥-٢٠١٤م، تاريخ الزيارة: ٢٠٢٤/١١/١١م.

واحدة، بل شاركت كل حضارة فيه بنصيب، ومعنى ذلك أنه لا يحق لجهة أن تدعي ذلك التراث العلمي كله دون الآخرين، كما هو الحال في رؤية الحضارة الغربية المعاصرة لذاتها وللآخرين. ولا ينبغي للاختلاف بين طبائع البشر وآرائهم أن يؤدي إلى التناحر والهلاك، بل إلى إغناء النفس الإنسانية، وإغناء تجربة الإنسان على الأرض بوصفه مستخلفا فيها، إن هذا الاختلاف والتنوع سنة كونية لا ينبغي لها أن تمنع الحوار والتعارف(١).

[٥] ينبغي الإقرار من أبناء البشرية أن الحضارة هي التي تعمل على البناء، مع الإقرار بأن الحضارة الحقة هي التي تبني ولا تهدم، وعلينا عدم الإذعان للحضارة الغربية التي تعطي ولا تأخذ لامتلاكها القوة والمال، وهو ما تحاول فرضه على الحضارات الأخرى.

[٦] الكشف عن الأرضية المشتركة بين الحضارات للانطلاق منها، وهذه الأرضية المشتركة هي أننا بشر مخلوقون، ربنا واحد، وأصلنا واحد ومآلنا واحد، وأن تكون لدى جميع الأطراف الرغبة الحقيقية في إعلاء القيم المشتركة وتجنب جميع مظاهر الأنانية والاستعلاء(٢).

إن الإسلام لا يعتبر الصراع قانونا تاريخيا مطلقا، ولا قاعدة حتمية يجب الوصول إليها، إن الصراع في الإسلام جاء بمعنى التدافع، بكونه سنة واحدة من سنن الاجتماع البشري إلى جانب سنن الله الأخرى، فالجهاد في الإسلام ليس صراعا مع الآخرين للقضاء عليهم، ولكن أداة لحماية دعوة الإسلام ونشرها في العالمين.

يقول الخطيب الشربيني: «ووجوب الجهاد وجوب الوسائل لا المقاصد، إذ

---

(١) ينظر: صدام الحضارات أم حوار الحضارات؟ دراسة مقارنة في جدلية الفكر الغربي والفكر الإسلامي، د. عمر خروبي بزارة، (ص: ٢٥٤)، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب و الفلسفة، المجلد ١٣، العدد ٢ ، ٢٠٢١م.

(٢) أسس الحوار الحضاري، أ.د/ محمد مختار جمعة، موقع وزارة الأوقاف المصرية، على الرابط التالي: https://ar.awkafonline.com/?p=٨٧٥٥.

المقصود بالقتال إنما هو الهداية وما سواها من الشهادة، وأما قتل الكفار فليس بمقصود حتى لو أمكن الهداية بإقامة الدليل بغير جهاد كان أولى من الجهاد»[1].

إذا لا بديل عن الحوار بين الحضارات، هذا ما يقدمه العالم الإسلامي للعالم الغربي، ولا زلنا ننتظر حضور الأصوات العاقلة الغربية وتأثيرها في مراكز صنع القرار، ليتحول الحوار إلى واقع حضاري معاش.

(١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للخطيب الشربيني، (٩/٦)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

المبحث الثالث

مضامين آيات الهداية العامة والإفادة منها في حوار الحضارات

في هذا المبحث نتعرف على الأبعاد الحضارية التي تضمنتها آيات الهداية العامة في القرآن الكريم، وأتحدث عن كل صنف من الآيات في مطلب، ثم أختم بمطلب جامع لتلك الأبعاد الحضارية وبيان كيف يمكن الإفادة منها في حوار الحضارات، وعليه فإن هذا المبحث ينقسم إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: مضامين آيات يا أيها الناس

في هذا المطلب نتناول بيان الأبعاد الحضارية لكل آية بدأت بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، و"كلمة ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾ عامة، تشمل أمة الدعوة؛ من آمن منهم ومن لم يؤْمن، من الموجودين في عهد النبي ﷺ ومن سيوجد بعدهم إلى يوم القيامة؛ لعموم الرسالة المحمدية. فكلمة الناس تشمل كل بني الإنسان، وما في مضمون النداء من إنذار وتبشير وبيان للحقائق الوجودية والكونية، والأدلة والبراهين أمور عامة لَا تختص بقبيل دون قبيل، ولا بقوم دون قوم(١).

ونسرد المضامين التي تضمنتها تلك الآيات؛ وذلك على النحو التالي:

الآية الأولى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، وقد تناولت ما يلي:

الدعوة إلى الإيمان بالإله الواحد:

تناولت الآية الدعوة إلى الإيمان بالله الواحد الذي خلق الناس أجمعين، وقد وصف الله سبحانه وتعالى ذاته العلية بصفات تدعو إلى العبادة كل من له قلب يخشع، وعقل يخضع:

[أ] فوصفه أولا بأنه الرب الأوحد، فقال: ﴿ رَبَّكُمُ ﴾ أي رباكم ونماكم وتولاكم، وكلأكم بالليل والنهار، فيرعاكم حق الرعاية في كل أجزاء جسمكم، ونفوسكم وعقولكم، ولا تخفى عليه خافية من أموركم، وهو بهذه الربوبية يستحق أن تعبدوه وحده، لَا شريك له؛ لأنه لا أحد سواه يربيكم.

[ب] ووصفه ثانيا بأنه ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾ صوركم فأحسن صوركم.

[ج] ووصفه ثالثا بأنه خلق الذين من قبلهم، وقد يسأل سائل: لماذا كان هذا

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم- مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف (١/ ٥٠)، (٧٤٣/٢)، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

الوصف، والسابق يتضمنه، فمن خلق جيلا فإنه يخلق الأجيال كلها: من مضى، ومن حضر، ومن يجيء بعد ذلك من الأخلاف؟

والجواب على ذلك: أنه لَا يغني المتضمن عن الصريح، وذكر الجيل السابق، أو الأجيال السالفة للإشارة أولا إلى عموم قدرته، وإلى أنه قادر على الإحياء والإماتة؛ فهو خلق السابقين، وأماتهم ثانيا، وللإشارة إلى أن الحاضرين ليسوا مخلدين، فهم سيموتون، كما مات من سبقوهم وسيبعثون جميعا يوم الدين. وهذا كله يقتضي ألا يعبد سواه، ولا يحمد غيره، ولا يستحق الألوهية الحق غيره، فهو الله الواحد الأحد(١).

الدعوة إلى عبادة الله:

ينادي سبحانه وتعالى الإنسانية كلها لَا فرق بين كافر ومؤمن، وأبيض وأسود، وعربي وأعجمي، والذي يناديهم به أن يعبدوه وحده لَا إله غيره. اعبدوا الإله الذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائر الخلق غيركم، وهو يقدر على ضركم ونفعكم، أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نفع ولا ضر.

طلب سبحانه وتعالى العبادة من المؤمنين وغير المؤمنين، وتحقيقها في كل منهما بما يناسبه؛ فيكون الأمر بالنسبة للمؤمنين، بمعنى داوِموا على عبادته، وبالنسبة إلى غيرهم، بمعنى حصِّلوا العبادة وأنشئوها(٢).

وقفة مع مفهوم العبادة:

والعبادة الخضوع المطلق لله سبحانه وتعالى وحده؛ بحيث يكون القلب كله لله تعالى، لَا يحب إلا لله، ولا يكره إلا لله. والعبادات تعم الصلوات، والزكوات، والصوم، والحج، وغير ذلك مما يكلفه العباد، حتى الأعمال التي تكون بها الحياة، كلها تكون

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ) (١/ ١٥٦-١٥٧)، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ)، (١/ ٣٨٥)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م. زهرة التفاسير (١/ ١٥٥)، التفسير الوسيط، (١/ ٥٠)

عبادة إذا قصد بالخير فيها وجه الله تعالى، ونفع عباده، فالصانع في مصنعه، والزارع في مزرعته، إذا قصد بعمله نفع الناس ووجه الله تعالى، فهو في عبادة، فالعبادة تشمل كل عمل يعمل لنفع الناس والحيوانات، إذا أريد به وجه الله(١).

الدعوة إلى العبادة التي توصل إلى التقوى:

طالب الله الناس أن يعبدوه عبادة خشوع وإخلاص، حتى كأنهم ينظرون إليه ويرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم، فإن فعلوا ذلك أعدّوا أنفسهم للتقوى، وبلغو الغاية القصوى.

فيا بني الإنسان اعبدوا ربكم الذي خلقكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح، المستوجبين جوار الله تعالى(٢).

الآية الثانية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ١٦٨].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، وقد تناولت ما يلي:

الدعوة إلى أكل الطعام الحلال الطيب:

الخطاب في الآية لجميع البشر توجيه لهم في أكل الحلال الطيب الذي لا شبهة فيه ولا إثم ولا يعلق به حق للغير مهما كان(٣).

وقد عبر الله بقوله: ﴿ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾ ، والكلمة الأولى لبيان الحكم الشرعي، والثانية لبيان؛ علته لأن الطيب من شأنه أن تقصده النفوس للانتفاع به؛ فإذا ثبت الطيب ثبتت الحلية؛ لأن الله رفيق بعباده لم يمنعهم مما فيه نفعهم الخالص أو الراجح. والمراد بالطيب هنا ما تستطيبه

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير، (١/ ١٥٥-١٥٦)، التفسير الوسيط، (١/ ٥٠).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي، (١/ ٥٤). تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، (١/ ٦٢)، مطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م. زهرة التفاسير، (١/ ١٥٧).

(٣) ينظر: التفسير الواضح، محمد محمود حجازي (١/ ٩٦)، دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٣ هـ.

النفوس بالإدراك المستقيم السليم من الشذوذ، وهي النفوس التي تشتهي الملائم الكامل أو الراجح؛ بحيث لا يعود تناوله بضر جثماني أو روحاني[١].

الدعوة إلى البعد عن الشيطان والحذر منه:

تطلب الآية من الناس أجمعين أخذ الحذر من الشيطان، ذلك العدو الذي قد أبان عداوته من زمن أبينا آدم، وبذل نفسه وعمره في إفساد أحوالنا. هذا العدو نهينا عن اتباع خطواته، والاقتداء بالشيطان إرسال النفس على العمل بما يوسوسه لها من الخواطر الشرية[٢].

الآية الثالثة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

لما كان ما بعد نداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ جامعا لما يؤمر به الناس بين مؤمن وكافر، نودي جميع الناس، فدعاهم الله إلى التذكر بأن أصلهم واحد؛ إذ قال: اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة دعوة تظهر فيها المناسبة بين وحدة النوع ووحدة الاعتقاد[٣]. هذا وقد تناولت الآية ما يلي:

الدعوة إلى الإيمان بوحدانية الإله الخالق للناس أجمعين.

وهذه دعوة تقدم بيانها، وسلك فيها نفس المسلك السابق وهو تقرير وحدة الربوبية؛ فإن الله رب الجميع، فصلة الجميع به واحدة.

بيان وحدة الأصل الإنساني:

في هذا النداء يبين الله تعالى وحدة الأصل الإنساني، وحدة التكوين؛ فالكل ينتهي

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، (٢/ ١٠٢)، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، (٢/ ٢٠٩)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م. التحرير والتنوير (٢/ ١٠٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، (٤/ ٢١٤).

إلى نفس واحدة هي الجنس العام الجامع[١].

بيان الأخوة الإنسانية:

في هذا النداء الذي يقوم على وحدانية الله الخالق، ووحدانية الخلق والتكوين، ورجوع الكل إلى نفس واحدة كلهم يرجعون إليها، ويتصلون بها، هذه الوحدة التي تجمع بني الإنسان مهما تختلف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم؛ فعلى كل إنسان أن يلاحظ تلك الأخوة الرابطة في كل عمل يعمله، وكل غاية يتغياها ويريدها[٢].

بيان المساواة القائمة بين البشر:

في هذا النداء الذي يقوم على وحدانية الله الخالق، وثبوت الأخوة الإنسانية؛ فإن الجميع متساوون في الأصل، ولَا فضل لجنس على جنس، ولا للون على لون إلا بمقدار الاتصال الروحي بخالق الخلق، وذلك بالتقوى[٣].

الدعوة إلى رعاية الأرحام وصلات القرابة:

وحيث إن الكل إخوة فإن الله سبحانه وتعالى في هذا النداء يطلب مراعاة الأرحام وصلات القرابة كافة، القريب منها والبعيد؛ فدعا إلى رعاية:

[أ] الأرحام القريبة من الإنسان من جهة أبيه وأمه؛ فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله.

[ب] الأرحام البعيدة، التي تعني كل الصلات الإنسانية التي وصل بها بين الخلق بخلقهم من نفس واحدة.

وأكد على صلة الأرحام بالأمر بالتقوى، وأراد بها هنا أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم، فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله. فقيل: اتقوا ربكم الذي وصل بينكم، حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة. فيما يجب على بعضكم لبعض، فحافظوا

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير (٣/ ١٥٧٤).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٣/ ١٥٧٤، ١٥٧٥).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٣/ ١٥٧٤).

عليه ولا تغفلوا عنه[١].

الدعوة إلى تقوى الله سبحانه وتعالى:

وهذه أيضا دعوة مكررة، إنها دعوة إلى التحلي بزكي الأخلاق وأعلاها، التحلي بالتقوى، وقد أكد عليها بأن كرر الأمر بها؛ وذلك لتربية المهابة في النفس، ولتوكيد الطلب.

والأولى مضافة إلى الربوبية؛ والتقوى هنا في شكر الرب على ما أنعم، والقيام بالواجب نحو الخلق للصلة الجامعة الوثيقة. والثانية مضافة إلى الألوهية؛ فهي تقوى العابد الخائف الراجي رحمته[٢].

والتقوى المأمور بها هنا: إما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك. وإما التقوى فيما يتعلق بحقوق أبناء الجنس. أي: اتقوه في مخالفة أوامره ونواهيه على الإطلاق[٣].

الآية الرابعة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١٧٠].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، أهل الشرك وأهل الكتاب، والعرب والعجم، والأبيض والأسود، والقريب الداني، والبعيد القاصي، فتناولت جملة من الرسائل لَا تختص بجنس، ولا لون، ولا إقليم[٤]، وهي:

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، (١/ ٤٦٢)، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م. زهرة التفاسير (٣/ ١٥٧٨).

(٢) ينظر: زهرة التفاسير (٣/ ١٥٧٧).

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، (٢/ ١٣٧)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٤) ينظر: زهرة التفاسير (٤/ ١٩٧٥)، التفسير الوسيط (٢/ ٩٨٥).

بيان دعوة الرسل إلى الحق والخير

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل إلى البشر، يدعونهم إلى الحق والخير، وإن كانت الآية تتحدث عن سيدنا محمد ﷺ خاصة، إلا أن جميع الرسل تشاركه في أصل المهمة والرسالة.

وهذا الرسول قد أرسل بالْحقِّ الذي لا يعتريه شك، وهو الدين الذي يدعو إلى عبادة الله، والإعراض عن غيره. وإذا كان الرسول بهذه الصفة فهذا تمهيد للأَمر بالإيمان به(١).

الدعوة إلى الإيمان بالرسل وبما جاءوا به:

إذا كانت الرسل على هذه الدرجة من الموثوقية في صحة وحقية ما جاءوا به؛ فهي دعوة إلى الإيمان بهم عامة، والإيمان بالرسول الخاتم خاصة.

وقد أكد الله سبحانه وتعالى فضل رسالته وكمالها وعمومها بثلاثة أمور:

الأول: في قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُمُ ﴾ أيها الناس جميعا، فهي رسالة جاءت لصالحكم جميعا، أي لصالح البشرية كلها.

الثاني: التعبير بقوله تعالى: ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾؛ أي هذه الرسالة مقرونة بالحق مصاحبة له، متلبسة به، فهي حق ثابت مستقر موافق لفطرة البشر أجمعين، وما كان حقا ملائما لفطرة البشر لَا بد أن يكون عاما شاملا.

الثالث: قوله تعالى: ﴿ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ أي أن رسالة محمد ﷺ جاءت من ربكم الذي خلقكم، وقام على أموركم الذي يعلم ما فيه نفعكم، وما فيه خيركم، ولا يرضى لعباده إلا النفع لعمومهم.

وهذه الآية يفهم منها أيضا أن الإيمان فيه الخير المطلق؛ لأنه الحق، ولأنه من عند رب العالمين. وأما الكفر، فإنه الضرر كله للعباد، ولا يرضى سبحانه وتعالى الكفر لأنه لَا يرضى ما يضرهم(٢).

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط (٢/ ٩٨٦).

(٢) ينظر: زهرة التفاسير (٤/ ١٩٧٦-١٩٧٧).

عاقبة الإيمان أو الكفر تعود على البشر فقط:

بينت الآية أن عاقبة الإيمان بالله، أو الكفر به سبحانه وتعالى، إنما تعود على المؤمن أو الكافر، لا ينال الله تعالى منها شيئا. وسواء آمنتم أيها الناس أو كفرتم فالله غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بإيمانكم(١).

فالله غني عن إيمانكم؛ لأنه مالك السموات والأرض وخالقهما، ومن كان كذلك لم يكن محتاجا إلى شيء. ويحتمل أن يكون المراد: فإن لله ما في السموات والأرض، ومن كان كذلك كان قادرا على إنزال العذاب الشديد عليكم لو كفرتم. ويحتمل أن يكون المراد: أنكم إن كفرتم فله ملك السموات والأرض وله عبيد يعبدونه وينقادون لأمره وحكمه(٢).

وفي هذا رسالة للناس جميعا أن ما يأمر به الله خلقه أو ينهى عنه فليس يأمر وينهى لحاجة له أو لمنفعة؛ ولكن يأمر وينهى لحاجة الخلق ومنافعهم؛ إذ من له ما في السماوات وما في الأرض وملكهما لا يقع له حاجة ولا منفعة، وهو غنى بذاته(٣).

بيان ملكية الله للكون وعلمه وحكمته الشاملين:

هذا الإله الذي يخاطبكم أيها البشر، ويطلب منكم الإيمان به وبرسله، هو الإله الذي خلق هذا الكون ويملكه جميعه، ومن شأنه سبحانه وتعالى العلم المحيط والحكمة الكاملة في جميع أفعاله وأحكامه؛ فهو لا يخفى عليه أمركم في إيمانكم وكفركم وسائر أحوالكم، ويسير الكون بنظام محكم التقدير والتدبير، وبنواميس وأسرار كونية لا يعلمها إلا العليم الخبير الذي خلق كل شيء فقدره وأحسن تقديره. وهو من أجل هذا يستحق

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/ ١١٠)، تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، (٢/ ٤٧٦)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) (١١/ ٢٧٠)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠هـ.

(٣) ينظر: تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، (٣/ ٤٢٤)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

الإيمان به وعبادته[1].

الآية الخامسة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء: ١٧٤].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، وقد تناولت ما يلي:

بيان أن الأنبياء والكتب الإلهية سبل الهداية:

البرهان في الأصل الحجة، وسواء كان المقصود بالبرهان هنا الأنبياء أو الكتب الإلهية، أو هما معا؛ فإنها طرق قويمة للهداية، وحجج أقامها الله على الخلق، يبلغونهم رسالات ربهم، وما فيه صلاح معاشهم في الحياة الدنيا، وما فيه ثوابهم في الآخرة. فعليكم أيها البشر اتباع هذه البراهين، والعمل بما بلغوه لنا[2].

بيان أن الأنبياء والكتب الإلهية طرق واضحة للهداية:

وصف الله القرآن الكريم بأنه النور المبين، وقد يكون المقصود أيضا هو الرسول ﷺ، وأيا يكن فإن القرآن والرسول على سبيل الخصوص، والكتب السماوية والرسل والأنبياء على سبيل العموم، جميعهم طرق هداية كما بينا في المضمون السابق، ولكنها في ذات الوقت طرق واضحة في بيان الحق، هادية إلى الرشاد، والدالة على طرق النجاة[3].

الآية السادسة: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، وقد تناولت ما يلي:

بيان الملكية الإلهية للكون:

وهذه رسالة إلهية سبق ذكرها، والمالك للكون وما فيه هو الإله على الحقيقة. وفي

---

(١) ينظر: تفسير المراغي (٦/ ٢٧)، زهرة التفاسير (٤/ ١٩٧٧).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/ ١١٢)، تفسير أبي السعود (٢/ ٢٦٢)، التحرير والتنوير (٦/٦٢).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٧١١)، تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨١)، زهرة التفاسير (٤/ ١٩٩١).

قوله تعالى: ﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ ﴾ بيان لاختصاصه بالإلهية، لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره(١).

بيان قدرة الله تعالى غير المحدودة:

وهذه رسالة سبقت الإشارة إليها في الآية الرابعة؛ فالله تعالى المالك للكون له التصرف في السموات والأرض وتدبير العالم كله؛ إذ وحدة النظام في جملة المخلوقات وعدم التفاوت فيها دليل على وحدة مصدرها وتدبيرها، فهو المستحق للعبادة وحده لا إله إلا هو(٢).

الدعوة إلى الإيمان بالرسول محمد ﷺ:

وهذه رسالة مكررة، وتم تقرير ضرورة الإيمان به بأنه رسول الله ذي الملك التام والقدرة الكاملة، وكل الرسل والأنبياء السابقين عليه مرسلون من هذه الإله القدير، فاتبعوا أيها الناس هذه التعليمات التي جاءوا بها.

الهداية تكمن في اتباع الرسل:

إن رسل الله وسيدنا محمدا عليهم الصلاة والسلام طريق الهداية والنجاح والفلاح، وفي اتباع طريقهم هداية للبشرية جمعاء؛ لأنهم مرسلون بالهداية من خالق الكون والعالم بما يصلحه؛ فيجب تصديق الرسل واتباعهم، لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ فمن صدق الرسول ﷺ ولم يتبعه بالتزام أحكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء، مستمر على الغي والضلال(٣).

بيان عالمية الرسالة المحمدية:

أرسل سيدنا محمد ﷺ إلى الخلق أجمعين يعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم ويطهرهم من خرافات الشرك والرذائل والجهل والتفرق والتعادي بعصبيات الأجناس واللغات والأوطان ليكونوا بهدايته أمة واحدة يتحقق بها الإخاء البشري العام(٤).

---

(١) ينظر: تفسير الكشاف (٢/ ١٦٧)، تفسير البيضاوي (٣/ ٣٨)، تفسير أبي السعود (٣/ ٢٨١).
(٢) ينظر: تفسير المنار (٩/ ٢٥٧)، تفسير المراغي (٩/ ٨٥).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٠١)، تفسير أبي السعود (٣/ ٢٨١).
(٤) ينظر: تفسير المنار (٩/ ٢٥٧)، تفسير المراغي (٩/ ٨٥)، زهرة التفاسير (٦/ ٢٩٧٥).

الآية السابعة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [يونس: ٢٣].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، وقد تناولت ما يلي:

التحذير من الظلم والعدوان:

هذا خطاب لكل الناس أن عيشوا الحياة باستقامة وعدل، وحافظوا على حقوق بعضكم البعض، حتى يتم حفظ السلم والأمن العالميين. ثم هو خطاب للظالمين: يا أيها الغافلون عن أنفسكم، أما كفا كم بغيا على المستضعفين منكم اغترارا بقوتكم وكبريائكم؟

وقد دلت الآية على أن البغي والظلم يجازى أصحابه عليه في الدنيا والآخرة، فأما في الآخرة فهو ما دل عليه إنذار أهله الرجوع إلى الله، وإنباؤه إياهم بما كانوا يعملونه؛ إذ المراد به لازمه وهو الجزاء به. وأما في الدنيا فهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ ﴾ يعود في نهاية الأمر عليكم أنتم، لَا يتجاوزكم إلى غيركم، ذلكم أنكم إن أشعتم البغي فيما بينكم عمَّ الفساد فيكم، ولم تكن منكم جماعة فاضلة ذات حقوق وواجبات، بل جماعة متحللة متقاطعة متدابرة، تعمها الرذيلة، ويسودها الشر، يتجرد فيها الإنسان عن إنسانيته، والمرء عن مروءته.

والناظر إلى سنن الله تعالى في العمران وطبائع الاجتماع البشري التي تثبتها وقائع التاريخ، يوضح لنا أن البغي والظلم للناس يرجع على فاعله، ذلك بأنه سبب من أقوى أسباب العداوة والبغضاء بين الأفراد، وإيقاد نيران الفتن والثورات في الأقوام. فالفرد الذي يبغي على مثله يخلق له بغيه عدوا أو أعداء ممن يبغي عليهم. وأما بغي الملوك والحكام على الأقوام والشعوب فأهون عاقبته عداوتهم والطعن عليهم، وقد تفضي إلى اغتيال أشخاصهم، أو إلى ثل عروشهم والقضاء على حكمهم، إما بثورة من الشعب تستبدل بها عرشا بعرش، أو نوعا من الحكم بنوع آخر، وإما بإغارة دولة قوية

على الدولة التي يضعفها البغي تسلبها استقلالها، وتستولي على بلادها[1].

التذكير بالحساب الأخروي:

وهذه رسالة فيها تحذير آخر من الظلم والبغي بتذكير الناس بالرجوع إلى الله والحساب أمامه عن كل تجاوز، وهذه الرسالة فحواها: يا أيها الناس لا يتهيأ لكم بغي بعضكم على بعض إلا أياما قليلة، وهي مدة حياتكم مع قصرها وسرعة انقضائها، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا﴾ أي ما وعدنا من المجازاة على أعمالكم ﴿مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا، والإنباء هو الإخبار، وهو في هذا الموضع وعيد بالعذاب[2].

الآية الثامنة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، تبين لهم أن القرآن الكريم، وهو العهد الأخير السماوي قد اتصف بصفات أربعة من المنافع الصالحة لهم، والإشارة إلى اختلافهم في مقدار الانتفاع به، ولذلك كان الخطاب هنا عاما لجميع الناس ولم يأت فيه ما يقتضي توجيهه لخصوص المشركين[3]. وهذه الأوصاف تقتضي الإيمان به، والاهتداء به، وهذه الأوصاف الأربعة هي:

القرآن الكريم كتاب موعظة:

القرآن كتاب فيه الدعوة إلى كل خير، والإبعاد عن الشر والزجر، وضرب الأمثال في القصص، والتربية النفسية بالعظة والاعتبار، فقد عرفكم بالخصال الكريمة، وحثكم

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٩)، تفسير المنار (١١/ ٢٨٠-٢٨١)، تفسير المراغي (٩١/١١)، زهرة التفاسير (٧/ ٣٥٤٦)، التفسير الوسيط (٤/ ٧٣).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (١٧/ ٢٣٦).

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، (٣/ ١٢٦)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ. التحرير والتنوير (١١/ ٢٠٠).

عليها، وبيَّن لكم حسن عاقبتها، وكشف لكم عن الخصال الذميمة، ونهاكم عنها، وبيَّن لكم سوءَ عاقبتها[١].

القرآن الكريم شفاء للأمراض والشكوك:

القرآن كتاب مقدس مبارك فيه شفاء مما يلي:

[أ] شفاء من الأمراض النفسية والمعنوية؛ فيه كشف وإزالة لأدران الأمراض النفسية من حسد وحقد وتباغض وتنازع وخوف تبتدئ في الصدور وتنتهي إلى أن تكون أسقاما في المجتمع البشري تفسد بناءه وتقوضه، وكل هذا داء يحتاج إلى دواء، وفي القرآن الكريم ذلك الدواء والشفاء[٢].

[ب] شفاء للقلوب من الشكوك والوساوس؛ فقد بيَّن الحق وأَقام عليه الدلائل والبراهين المطمئنة للنفوس الحائرة، وبيَّن الباطل وأَقام البراهين على بطلانه ووجوب تركه، ولم يترك مجالا لأمراض الصدور عند العقلاء المنصفين، فهو لهذا كله شاف لما في الصدور من الأَمراض كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الفاسدة، فكأَنه نفس الشفاءِ[٣].

[ج] يساعد على شفاء الأجساد والأبدان من أمراضها؛ فالمريض يعاني أثناء تعبه بدنيا ونفسيا؛ فينزل هذا القرآن بعد قراءته أو سماعا على نفس المريض بالهدوء والطمأنينة، ويبعد عنها حياة القلق والاضطراب، مما يجعل النفس قابلة للتداوي، والشفاء من الأمراض.

القرآن الكريم كتاب هداية:

القرآن فيه الهداية الشاملة لجميع الناس، يبين لهم الحق من الضلال، ويوضح لهم أدلة الوصول إليه، ويهدي إلى الخير والرشاد[٤].

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٥٩٥)، التفسير الوسيط (٤/ ١٠٥).

(٢) ينظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٥٩٥).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٢/ ١٩٣)، تفسير المنار (١١/ ٣٢٩)، التفسير الوسيط (٤/ ١٠٥).

(٤) ينظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٥٩٥)، التفسير الواضح (٢/ ٧١)، التفسير الوسيط (٤/ ١٠٦).

القرآن الكريم كتاب رحمة لمن اتبعه:

الأوصاف الثلاثة الأولى ثابتة للقرآن في ذاته؛ سواء في ذلك مَن قبلها وعمل بها، ومن أعرض عنها ونبذها، والوصف الرابع وهو الرحمة، خاص بمن عمل بمقتضى الأوصاف الثلاثة الأولى، فانتفع بها فكان القرآن رحمة له في الدنيا والآخرة(١).

الآية التاسعة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٤].

هذا خطاب عام للناس أجمعين، وكل من اتصف بالشك في دين الله، أو لم يؤمن به دون أن يخالط الشك قلبه(٢)، وقد تناولت الآية ما يلي:

الدعوة إلى إعلان البراءة من عبادة كل ما يعبد من دون الله:

هذا خطاب يتبرأ فيه رسول الله ﷺ من عبادة أي معبود دون الله تعالى، وهي رسالة لكل الناس أن اتركوا عبادة المخلوقات، وأفردوا الله وحده بالعبادة فهو المستحق لها دون ما عداه؛ فهو الذي خلقكم، وهو الذي أحياكم وهو الذي يميتكم، هذا اعتقاد كل رسول مرسل من الله(٣).

الدعوة إلى عبودية الله الذي يهب الحياة والموت:

بعد البراءة من كل ما يعبد من دون الله فإن الذي يستحق العبادة هو الله تعالى، فهو الذي يستوفى آجالكم، بقبض أَرواحكم؛ فهو الجدير بالعبادة والتقديس، فيا أيها الناس اعرضوا هذه العقيدة على عقولكم، وانظروا فيها بعين الإنصاف؛ لتعلموا صحتها وفساد ما أنتم عليه من عبادة آلهة لا شأْن لها في إحياءٍ ولا إماتة.

وقد ذكر سبحانه الوفاة ولم يذكر الإحياء؛ لأن الوفاة لَا تكون إلا للحي، فذكرها يتضمن ذكر للإحياء، وإشارة إلى أنهم ليسوا مخلدين وأنهم ضعفاء يموتون، وذكر الموت يذهب بغرورهم وفي ذهابه تقريب لهم إلى الإيمان، كما أن آلهتهم التي لَا تضر

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١١/ ٢٠٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٣/ ١٤٦)، التحرير والتنوير (١١/ ٣٠٠).

(٣) ينظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٦٤٢)، التفسير الوسيط (٤/ ١٥٠).

ولا تنفع، لَا تميت ولا تحيي[١].

الآية العاشرة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس: ١٠٨].

هذا خطاب للناس أجمعين المؤمن منهم والكافر[٢]، يتضمن ما يلي:

الدين والقرآن والرسول طرق هداية حقة:

تضمن الخطاب بيان أن دين الله حق، وأن الرسول الذي جاء به حق، وأن القرآن الذي أنزله عليه حق، وهكذا كانت الأديان والرسل والكتب من قبل، أرسلها الله لهداية البشرية، ونعتقد أن الإسلام هو الدين الحق، وأن القرآن هو العهد السماوي الأخير، وأن الرسول محمدا هو الرسول الخاتم(٣).

الهداية والضلالة أمر شخصي لا يتعدى لغيره:

هذه رسالة سبقت؛ فمن اتبع طرق الهداية السابقة فإنما منفعة اهتدائه له في الدنيا والآخرة، ومن ضل فإنما يرجع ضرر ضلالته إليه وخيانته عليه[٤].

لا يناط بالرسول إرغام الناس على الهداية، ولا على الضلال:

أمر الرسول بمخاطبة الناس: ما أنا بموكَّل من عند الله بأموركم، ولا بمسيطر عليكم، فأكرهكم على الإيمان، وأمنعكم بقوتي من الكفر والعصيان، وما أنا إلا رسول مبلغ إليكم أمر ربكم، بشير لمن اهتدى، ونذير لمن ضل وغوى. وهكذا كان الرسول حقا لأن ما يأمر وينهى ليس يأمر وينهى لمنفعة تحصل له أو لحاجة نفسه إنما يأمر وينهى لمنفعة الخلق ولحاجتهم[٥].

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٦٤٢)، التفسير الوسيط (٤/ ١٤٩-١٥٠).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٣/ ١٤٧)، التحرير والتنوير (١١/ ٣٠٨).

(٣) ينظر: تفسير الماتريدي (٦/ ٩٢-٩٣)، تفسير ابن عطية (٣/ ١٤٧)، تفسير القرطبي (٨/ ٣٨٨)، تفسير البيضاوي (٣/ ١٢٦).

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي (٦/ ٩٣)، تفسير المنار (٤٠٢/١١)، تفسير المراغي (١١/ ١٦٥).

(٥) ينظر: المراجع السابقة، نفس الصفحات.

الآية الحادية عشرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾ [الحج: ١].

هذا نداء للناس كلهم الذين يسمعون هذه الآية من الموجودين يوم نزولها ومن يأتون بعدهم[(١)] تناول ما يلي:

الدعوة إلى تقوى الله تعالى:

وهذا مضمون سبق، فالله هنا أمر الناس بالتقوى، ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة، والمعنى أن التقوى تقتضي دفع مثل هذا الضرر العظيم عن النفس، ودفع الضرر عن النفس معلوم الوجوب، فيلزم أن تكون التقوى واجبة[(٢)].

التحذير من الحساب يوم القيامة:

في هذه الآية لما أمر الناس بالتقوى، وعلل وجوبها عليهم بذكر الساعة، وصفها بصفة مفزعة مخيفة؛ لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم، ويتصوّروها بعقولهم؛ حتى يبقوا على أنفسهم، ويرحموها من شدائد ذلك اليوم، وذلك بلزوم تقوى الله تعالى، التي تدفع إلى لزوم الاستقامة[(٣)].

الآية الثانية عشرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ [الحج: ٥].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، وتناولت قضيتين:

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٦/ ٩١)، التحرير والتنوير (١٧/ ١٨٥).

(٢) ينظر: تفسير الكشاف (٣/ ١٤١)، تفسير ابن عطية (٤/ ١٠٦).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (٢٣/ ٢٠٠)، تفسير البيضاوي (٤/ ٦٤).

إقامة الدليل على البعث بعد الموت للحساب على أفعال الحياة الدنيا:

تناولت الآية خطابا ظاهرا صريحا لمن يؤمن بالبعث بعد الموت ويغفل عنه، ولا يحسب له حسابا، ومن ينكره ويجحده ولا يؤمن به، والفريقان في هذا الخطاب سواء، وقد استدل الله تعالى على وقوع البعث بأدلة ثلاثة وهي:

[أ] الاستدلال بمراحل خلق الله للإنسان:

يذكر الله الإنسان بأنه قد كان قبل خلقه ترابا وماء، ثم قلَّب حال الإنسان من حال النطفة إلى حال العلقة، ومن العلقة إلى المضغة، وهكذا، ثم بعد الموت يرجع الناس إلى حال التراب الأول، فالذي أنشأكم وخلقكم أول مرة، قادر على أن يعيد خلقكم ويبعثكم بعد الموت للقائه والحساب أمامه. ومن قدر على ابتداء إنشاء هذا العالم من التراب أو من النطفة من غير سبب يوجد فيه، ولا أثر – لقادر على إعادتهم، وإعادة الشيء في عقولكم أهون وأيسر من الابتداء، فمن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر(١).

[ب] الاستدلال بمراحل حياة الإنسان:

وهذا استدلال ثان على إمكان البعث، بما يعتري الإنسان في أطوار حياته من الأمور المختلفة والأحوال المتضادة، فإن من قدر على ذلك قدر على نظائره (٢).

[ج] الاستدلال بإنتاج الزرع عن طريق المطر:

هذا استدلال بشيء محسوس؛ فهو سبحانه وتعالى أحيا الأرض بعد موتها، وأنبت فيها ما فيه قوت الأحياء، وفيها من المناظر، وقد حول الله تعالى بهذا الماء، نباتا فيه غذاء الإنسان والحيوان، أفلا يستطيع إعادة الحياة إلى الإنسان كما بدأ(٣).

الدعوة إلى الإيمان بالله:

تناولت الآية خطابا ضمنيا دعت فيه إلى الإيمان بالله تعالى، فالذي قدر على كل ذلك من الخلق والبعث، والإيجاد والإمداد والإعدام، والإحياء والإماتة، يستحق أن يفرد

---

(١) ينظر: تفسير الماتريدي (٧/ ٣٩٠-٣٩١)، التحرير والتنوير (١٧/ ١٩٦).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٤/ ٦٥).

(٣) ينظر: زهرة التفاسير (٩/ ٤٩٤٧).

بالألوهية وأن يعبد لا شريك له.

الآية الثالثة عشرة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحج: ٤٩].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، بأن الرسل عامة، ورسول الله الخاتم خاصة أرسلوا للنذارة والبشارة، فهو ينذركم إنذارا بينا بما حل بالأمم السابقة من عذاب، وبما سيلقاه من كفر وضل يوم القيامة. والله تعالى ربكم وإليه أمركم، وهو الفعال لما يريد، لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب(١).

الآية الرابعة عشرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣].

هذه الآية وإن كان موضوعها يوحي بأنه خطاب لفئة تكفر بالله تعالى، وتعبد غيره، ولكن مع هذا فإن الخطاب يشملهم ويشمل بني آدم أجمعين(٢)، وقد تناولت الآية ما يلي:

الدعوة إلى الاستماع للحق:

دعت الآية إلى الاستماع للحق وتأمله، ومن فعل ذلك يقبله، ويستجيب له، والحق المذكور في الآية هو بطلان ألوهية تلك الآلهة المزعومة(٣).

الاستدلال على بطلان ألوهية ما سوى الله تعالى:

بَيَّن الله تعالى لتفهيم الناس أن ما يعبدون من دون الله تعالى ليسوا آلهة، ولا يتأهلون لذلك بضرب الأمثلة، والمتأمل في الآية يجد أنها لم تذكر مثلا حقيقة فكيف سماه مثلا؟ والجواب: لما كان المثل في الأكثر نكتة عجيبة غريبة جاز أن يسمى كل

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٦/ ١١٢)، زهرة التفاسير (٩/ ٥٠٠٢)، التفسير الواضح (٢/ ٥٩٥)، التفسير الوسيط (٦/ ١٢٣٥).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٤/ ١٣٣)، التحرير والتنوير (١٧/ ٣٣٨).

(٣) ينظر: تفسير الماتريدي (٧/ ٤٤٣).

ما كان كذلك مثلا. لأن حجج الله تعالى عليهم بضرب الأمثال أقرب إلى أفهامهم(١).

وحاصل الدليل الذي أقامه الله تعالى هنا أن كل ما يعبد من دون الله عاجزون – منفردين أو مجتمعين– عن خلق ذباب واحد، بل أعجب من ذلك أنهم عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبهم شيئا مما عليهم من طيب ونحوه. وهذا دليل على أن هذه الآلهة أعجز من الذباب، فكيف استساغت عقول من يعبدهم أَن يعبدوا تلك الآلهة العاجزة ويقدسوها، ويسندوا إليها النصر والرزق والمطر والصحة والمرض، وهي بهذا الضعف الذي صوره الله بما يقتضي الرثاءَ لعابديها؟(٢).

وخص الذباب لأربعة أمور تخصه: لمهانته وضعفه ولاستقذاره وكثرته، فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله عز وجل على خلق مثله ودفع أذيته؛ فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين وأربابا مطاعين؟ وهذا أقوى حجة وأوضح برهان(٣).

الآية الخامسة عشرة: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النمل: ١٦].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، حتى وإن كان الظاهر أنها خطاب لأهل عصر سيدنا سليمان، إلا أنه في الحقيقة خطاب يعم جميع الناس، فيه إخبار لهم بالنعم التي أنعم الله بها على نبيه. وقد تناولت الآية ما يلي:

بيان نعمة الله وفضله على عباده المرسلين:

في هذه الآية يذكر النبي الكريم فضل الله ونعمه التي أعطاه إياها، ومَنَّ عليه بها، ولا يحتمل أن يذكر هذا على سبيل الافتخار، فقال عليه السلام: يا أَيها الناس علمنا الله – تعالى – لغة الطير التي يتخاطبون بها، وأُوتينا من كل شيء يحتاج إليه الملك وتؤيد

(١) ينظر: تفسير الكشاف (٣/ ١٧١)، مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٥١)، تفسير القرطبي (١٢/ ٩٦).
(٢) ينظر: تفسير المراغي (١٧/ ١٤٥)، زهرة التفاسير (٩/ ٥٠٢٩)، التفسير الوسيط (٦/ ١٢٥٧).
(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٩٧).

به النبوة، كتسخير الشياطين والريح، وغير ذلك من أُمور الدنيا والآخرة[١].

الوراثة وحقوقها:

ورث سيدنا سليمان من أبيه سيدنا داود عليهما السلام أمرين:

[أ] العلم: وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم، وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير من عباد الله المؤمنين.

[ب] الملك والحكم: فهو وارث ملكه والقائم في مقامه في سياسة الأمة. فقد ورث هذا السلطان، ولم يرث الرعية، فالرعية لَا تورث ولا يمكن أن تورث، وهذا خطأ بعض الذين تولوا الملك بالوراثة، فحسبوا أن الرعية شيء يورث، إنما الذي يورث هو الحكم[٢].

وهذا ليس دعوة لوراثة الحكم، أو دفاع عنها، إنما الحكم يكون للأجدر بقيادة الدولة، وقد كان سيدنا سليمان هو الأجدر بين أهل زمانه.

الآية السادسة عشرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، وتناولت ما يلي:

الدعوة إلى تقوى الله تعالى: وهذه رسالة سبقت، والمقصود بالتقوى لزوم الاستقامة في الحياة؛ حتى لا يصيب الإنسان غضب الإله[٣].

التحذير من يوم القيامة: هذه رسالة فيها تحذير من ذلك اليوم الذي يلاقي فيه الناس خالقهم ليحاسبهم على سلوكهم في الحياة الدنيا، في هذا اليوم الشديد هوله لا

(١) ينظر: تفسير الماتريدي (٨/ ١٠٤)، التفسير الوسيط (٧/ ١٦٦٢).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٤/ ١٥٦)، تفسير أبي السعود (٦/ ٢٧٦)، التحرير والتنوير (١٩/ ٢٣٥)، زهرة التفاسير (١٠/ ٥٤٤٣).

(٣) ينظر: تفسير الماتريدي (٨/ ٣٢١)، التفسير الوسيط (٨/ ١٠٦).

يقضي فيه إنسان عن إنسان، ولا يغني فيه والد عن ولده، ولا مولود هو نافع والده شيئا، بل كل نفس بما كسبت رهينة، ولا تزر وازرة وزر أخرى؛ لأن الأمور كلها بيد من لا يغالب، ومن لا تنفع عنده الشفاعة والوسائل التي تنفع في الدنيا، بل لا تجدي عنده إلا وسيلة واحدة، هي العمل الصالح الذي قدمه المرء في حياته الأولى(١).

التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا:

هذه رسالة فيها تحذير من الدنيا؛ بحيث ينخدع الإنسان بزينتها ولهوها؛ فيتكل عليها ويركن إليها ويترك العمل للآخرة(٢).

التحذير من الاغترار بكل ما يخدعك:

الغرور بفتح الغين، هو ما غر الإنسان من شيء، كائنا ما كان، شيطانا كان أو إنسانا أو دنيا؛ بحيث يغر الخلق ويمنيهم الدنيا ويلهيهم عن الآخرة. والرسالة من الله مؤداها: التحذير من كل ما ينسيك لقاء الله، ويجعلك تعيش الحياة الدنيا حريصا على إشباع ملذاتك وشهواتك، وتنسى العمل الصالح(٣).

الآية السابعة عشرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، وتناولت ما يلي:

التذكير بنعم الله على الناس:

في هذه الرسالة خطاب للناس بأن يتذكروا نعمة الله عليهم. والمقصود من تذكر النعمة شكرها وقدرها قدرها. فالمراد بالذكر هنا التذكر بالقلب وباللسان. ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء نفى أن يكون في

(١) ينظر: تفسير المراغي (٢١/ ٩٩)، التفسير الواضح (٣/ ٥٦).
(٢) ينظر: تفسير الماتريدي (٨/ ٣٢٢)، تفسير القرطبي (١٤/ ٨١)، تفسير المراغي (٢١/ ٩٩).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٢، تفسير القرطبي (١٤/ ٨١)، تفسير الرازي (٢٥/ ١٣٣)، تفسير البيضاوي (٤/ ٢١٨).

الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه إحدى النعمتين[١].

بيان وحدانية الخالق:

لما كانت نعم الله مع كثرتها منحصرة في قسمين: نعمة الإيجاد، ونعمة الإبقاء، وجه الله إلى الإنسان سؤالا: هل من خالق غير الله إشارة إلى نعمة الإيجاد في الابتداء؟ هل خالق مغاير له تعالى موجود؟[٢].

بيان وحدانية الرازق:

ثم ذكر الله انفراده بالرزق؛ إشارة إلى نعمة الإبقاء إلى الانتهاء[٣].

الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى:

إذا كان الله تعالى هو الذي أنعم على العباد بتلك النعم الكثيرة، ومنها نعمتي الإيجاد والإمداد؛ فينبغي الإيمان بهذا الخالق العظيم، ويجب عبادته؛ فلا معبود تنبغي له العبادة، إلا الذي فطر السماوات والأرض، القادر على كل شيء، الذي بيده مفاتح الأشياء وخزائنها، ومغالق ذلك كله، فلا تعبدوا أيها الناس شيئا سواه، فإنه لا يقدر على نفعكم وضركم سواه، فله فأخلصوا العبادة، وإياه فأفردوا بالألوهة[٤].

الآية الثامنة عشرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، وتناولت ما يلي:

التحذير من يوم القيامة:

هذه رسالة سبقت؛ فاليوم الذي سيبعث الناس فيه للقاء خالقهم حق لا شك فيه، وواقع لا تأجيل له، فلينتبه الإنسان وليعمل الصالحات.

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٧/ ١٤٢)، التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٥٣-٢٥٤).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٢٦/ ٢٢٢-٢٢٣)، تفسير أبي السعود (٧/ ١٤٢).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٢٦/ ٢٢٣).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٢٩).

التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا:

هذه رسالة سبقت؛ فلا تنخدعوا بملهيات الحياة، وشهوات النفس عن لزوم الاستقامة، وفعل الخير[(١)].

التحذير من الاغترار بكل ما يخدعك:

هذه رسالة سبقت؛ فلا تنخدعوا بكل ما يخدع الإنسان، وإن كان اللفظ يسبق في بداهة العقل أنه الشيطان؛ لأنه أشدها خطرا، يمني الإنسان بالمغفرة مع الإصرار على المعاصي، فيمنيكم الأماني، ويعدكم من الله العدات الكاذبة، قائلا: اعملوا ما شئتم، إن الله غفور يغفر الذنوب جميعا [(٢)].

الآية التاسعة عشرة: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، وتناولت ما يلي:

حاجة البشر الدائمة إلى الله:

يبين الله الناس احتياجهم الدائم له، يقول لهم: يا أيها الناس: أنتم الفقراء المحتاجون إلى الله في كل أموركم الظاهرة والخفية، المحتاجون إليه في أنفسكم، وفيما يعن لكم من أمر مهم أو خطب عُلِم، وكل الخلائق محتاجة إليه، إلا أن حاجة الإنسان إلى الله أكثر، فكأنه قال: أنتم وحدكم الفقراء، فإياه فاعبدوا، وفى رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، وينجح لديه حوائجكم[(٣)].

بيان أن الله هو مصدر العطاء الدائم:

يبين الله تعالى في هذه الآية أنه غني عن الناس وعن كل شيء من مخلوقاته، غني عن عبادتكم إياه، وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء منكم ومن غيركم. فهو المستغني على الإطلاق، المنعم على سائر الموجودات؛ حتى استحق عليهم الحمد؛ فهو المحمود على نعمه؛

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٧/ ١٤٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٣١)، تفسير أبي السعود (٧/ ١٤٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٥٢)، تفسير الكشاف (٣/ ٦٠٦)، تفسير أبي السعود (٧/ ١٤٨)، التفسير الواضح (٣/ ١٦١).

فإن كل نعمة بكم وبغيركم فمنه؛ فله الحمد والشكر بكل حال[1].

الآية العشرون: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، وتناولت ما يلي:

بيان وحدة الأصل الإنساني:

هذه الآية فيها تذكير لبني الإنسان جميعا بأن أصلهم واحد، أي أنهم في الخلقة سواء؛ ليتوسل بذلك إلى أن التفاضل والتفاخر إنما يكون بالفضائل، وإلى أن التفاضل في الإسلام بزيادة التقوى، وإلى فضيلة التعارف[2].

دعوة الناس إلى التعارف والتعايش بسلام:

إذا كان الأصل الإنساني واحد؛ فإن ما حدث بعد ذلك من كثرة البشر، وتنوعهم إلى شعوب وقبائل، واختلفت ألوانهم وألسنتهم وبلادهم، فالآية توجه كل البشر إلى التعارف وتبادل الخبرات والمعارف، والتعاون على خدمة البشرية، وننطلق من هذا إلى التعايش السلمي بين بلاد العالم وشعوبها.

بيان أن التفاضل عند الله على أساس التقوى:

توجه الآية الناس إلى لزوم الاستقامة والحرص على العمل الصالح، فلا تكريم عند الله لأحد بالحسب أو النسب أو المال أو الوظيفة، بل بالتقوى؛ فإن بها تكمل النفوس، ويتفاضل بها الأشخاص، فمن أراد شرفاً فليلتمسه منها[3].

إلى هنا تنتهي الآيات التي بدأت بـ (يا أيها الناس)، وعلمنا منها المضامين التي تضمنتها، وسنعلم في المطالب الرابع كيف يمكن الإفادة منها في حوار الحضارات.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٥٢)، تفسير ابن عطية (٤/ ٤٣٥)، تفسير البيضاوي (٤/ ٢٥٦)، تفسير أبي السعود (٧/ ١٤٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٥٨).

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ١٣٧)، تفسير أبي السعود (٨/ ١٢٣)، التفسير الوسيط (٩/ ١٠٥٠).

المطلب الثاني: مضامين آيات يا بني آدم

تكرر النداء بـ (يا بني آدم) خمس مرات، منها أربعة كاملة في سورة الأعراف، وهو خطاب من الله تعالى لجميع بني الإنسان، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من الله تعالى صدر لسيدنا آدم بعد حادثة الشجرة، خطاب بدأ بقوله تعالى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ ﴾ [الأعراف: ٢٥] حتى نهاية الخطاب الرابع؛ "فيكون مما خاطب الله به بني آدم في ابتداء عهدهم بعمران الأرض على لسان أبيهم آدم، أو بطريق من طرق الإعلام الإلهي، ولو بالإلهام، لما تنشأ به في نفوسهم هذه الحقائق، فابتدأ فأعلمهم بمنته عليهم أن أنزل لهم لباسا يواري سوآتهم، ويتجملون به بمناسبة ما قص الله عليهم من تعري أبويهم حين بدت لهما سوءاتهما، ثم بتحذيرهم من كيد الشيطان وفتنته، ثم بأن أمرهم بأخذ اللباس وهو زينة الإنسان عند مواقع العبادة لله تعالى، ثم بأن أخذ عليهم العهد بأن يصدقوا الرسل وينتفعوا بهديهم، واستطرد بين ذلك كله بمواعظ تنفع الذين قصدوا من هذا القصص»[(١)].

وأما النداء الخامس فقد جاء في سورة يس، وفيه التحذير من الشيطان وكيده، فمحتوى هذا النداء جاء في مواضع سورة الأعراف.

الآية الأولى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، وتناولت ما يلي:

التذكير بنعمة الثياب، وتعليم الناس المهن المساعدة على ذلك:

في هذه الآية تذكير للناس بنعمة الله عليهم من خلال توفير اللباس الذي يستر عوراتهم ويزينهم. ثم فيه امتنان عليهم بكل المهن والصناعات التي تساعد في ذلك، بدءا من استغلال الماء والمطر في زراعة النباتات المستخدمة في توفير الأنسجة والأصبغة، ومرورا بالزراعة والحصد والنسج وتعبئة الأصبغة، واستغلال المعادن

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٨ب/ ٧٢).

والأخشاب في إعداد آلات النسج والخياطة والتطريز والصباغة، وانتهاء بالتسويق وتوفير الأموال اللازمة لنقل الثياب وشراءها، وما بين ذلك وقبله وبعده نعم كثيرة، وهي وإن كانت في الظاهر جهدا بشريا إلا أن وراءها إله عَلَّم وفَهَّم وأقدر وساعد وأعان حتى بتوفير ريش الطير، ووبر الغنم، وجلود الأنعام، وأشياء من ذلك كثيرة يصعب حصرها وعدها، كل هذا من نعم الله الخالق المستحق للإيمان به(١).

الدعوة إلى التستر بثياب التقوى:

إذا كان للأبدان ثياب تتستر بها، وزينة تترفه بها، فإن للقلوب لباس يكسوها ويزينها؛ وهي لباس التقوى، وإذا كان الثوب الذي يلازم الجسم ويستره ويتزين به، فإن التقوى ستر لعيوب النفس ووقاية لها من غضب الله تعالى، وهي زينة القلوب ونورها المشرق(٢).

الآية الثانية: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، يحذرهم فيه من الشيطان وفتنه وكيده، وأن الشيطان لا يريد للإنسان خيرا، ويوضح الله ذلك من خلال:

١- التذكير بفتنته الأولى مع أصل النوع البشري وهو سيدنا آدم وزوجه حواء، حينما وسوس لهما، وخدعهما، وأوقعهما في مخالفة الأمر الإلهي، ونزع عنهما ستر الله تعالى.

٢- بيان قدرته وقدرة أبناء جنسه على التخفي عن الإنسان، والمراقبة التامة لأحوال الإنسان، وقدرته على إلقاء الوساوس في النفوس والقلوب.

٣- استطاع الشيطان أن يجعل له أولياء وأتباع من بني آدم يساعدونه في أداء

(١) ينظر: تفسير المنار (٨/ ٣١٩)، تفسير المراغي (٨/ ١٢٥)، التحرير والتنوير (٨ب/ ٧٤).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٨ب/ ٧٥)، التفسير الواضح (١/ ٧٠٤)، زهرة التفاسير (٦/ ٢٨٠٥-٢٨٠٦).

مهمته في إغواء البشر وفتنتهم، وصرفهم عن فعل الخير[1].

الآية الثالثة: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، وتناولت ما يلي:

الدعوة إلى الحفاظ على النظافة والجمال عند أداء العبادة:

تدعو الآية بني آدم إلى اتخاذ الزينة واللباس المناسب عند كل مسجد ومكان للعبادة، وهذا التزين من باب إجلال الله تعالى، وإجلال عبادته، والتعامل معها بتقديس. والزينة المطلوبة شاملة للثياب الجميلة، والتمشط والتطيب، وغير ذلك ممَّا لا إسراف فيه. وهذا الحكم من محاسن الدين الإسلامي التي بها نقل كثيرا من القبائل المتوحشة العريانة إلى حظيرة المدنية والحضارة، على أنه سبب في تقدم الصناعة والتجارة والزراعة[2].

الدعوة إلى التمتع بطيبات الحياة الدنيا باعتدال دون إسراف:

هذه الآية جمعت أصول حفظ الصحة من جانب الغذاء، وأصول الاقتصاد، وذلك بطلب الاعتدال في المأكل والمشرب والزينة، وكل طيبات الحياة الدنيا. والنهي عن السرف هنا نهي إرشاد لا نهي تحريم. والإسراف: تجاوز الحد في كل شيء، والحدود منها:

(أ) طبيعي: كالجوع والشّبع والظمأ والري، فمن أكل إذا أحس بالجوع أو كف عن الأكل إذا شعر بالشبع، أو شرب إذا شعر بالظمأ واكتفى بما يزيله ولم يزد على ذلك لم يكن مسرفا في أكله وشربه.

(ب) اقتصادي: وهو أن تكون النفقة على نسبة معينة من دخل الإنسان بحيث لا تستغرق كسبه.

(ج) شرعي: فإن الشارع حرم من الطعام الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله، وحرم من الشراب الخمر، وحرم من اللباس الحرير الخالص أو الغالب، على

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٨ب/ ٧٧)، زهرة التفاسير (٦/ ٢٨٠٨)، التفسير الوسيط (١٤٠٢/٣)

(٢) ينظر: التفسير الواضح (١/ ٧٠٨)، التفسير الوسيط (٣/ ١٤٠٩).

الرجال دون النساء، وحرم الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة وعدّه من السرف المنهىّ عنه، فهذه الأشياء لا يباح استعمالها إلا لضرورة تقدر بقدرها.

والمعول عليه في الإنفاق في كل طبقة عرف المعتدلين فيها، فمن تجاوز طاقته مباراة لمن هم أغنى منه وأقدر كان مسرفا، وكم جرّ الإسراف إلى خراب بيوت عامرة . وهذا السرف كبير الضرر عظيم الخطر على الأمم أكثر من ضرره على الأفراد(١).

الدعوة إلى السعي نحو الكمال، والإسلام يحقق ذلك:

هذه الآية والسياق الذي وقعت فيه تبين أن الإسلام يدعو إلى الكمال الروحي، والسمو الخلقي، مع العناية بالجسم وبالنفس وما تميل إليه ما دام في حدود الحلال. ومثل هذا التفصيل الدقيق الكامل في مسائل تخص الأفراد والأمم في حياتهما الاجتماعية نفصل الآيات الدالة على كمال ديننا وصدق رسولنا وتمام شريعتنا ولكن لقوم يعلمون لا لقوم يجهلون(٢).

الآية الرابعة: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٥].

في هذه الآية خطاب للناس جميعا، وتناولت ما يلي:

بيان أن إرسال الرسل طرق للهداية الإلهية:

تذكر هذه الآية بني آدم بأن الله أرسل لهم رسلاً من بينهم يوضحون لهم آيات الله، ويهدونهم إلى الطريق المستقيم، يدعونهم إلى طاعة الله تعالى، والانتهاء إلى أمره ونهيه، يعرِّفونهم آيات الله، ويعرضون عليهم شرائعه، فعليكم أيها الناس أن تستجيبوا إلى ما يدعونكم إليه(٣).

---

(١) ينظر: تفسير المراغي (٨/ ١٣٤)، التحرير والتنوير (٨ب/ ٩٥)، زهرة التفاسير (٦/ ٢٨١٩)، التفسير الوسيط (٣/ ١٤١٠).

(٢) ينظر: التفسير الواضح (١/ ٧٠٨).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ١٦٥)، تفسير المنار (٨/ ٣٦٥)، التفسير الوسيط (٣/ ١٤١٧).

الدعوة إلى اتباع طرق الهداية ولزوم التقوى:

تؤكد الآية على ضرورة اتباع الرسل، والتمسك بتعاليمهم لتحقيق الهداية، وضمان السلامة من المخاوف والأحزان، ولزوم التقوى والصلاح كمفتاح للنجاة في الدنيا والآخرة.

الآية الخامسة: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٦٠].

هذه الآية وإن كانت خطابا لجميع البشر يوم القيامة، غير أهل الجنة الذين عجلوا إلى الجنة[١]، إلا أنها تصلح لأخذ رسائل يخاطب بها جميع الناس في الحياة الدنيا، وكأنها رسالة من المستقبل، لتخاطب البشر في الحاضر.

ففي هذه الآية دعوة للبشر لتجنب مكائد الشيطان، وفيها توجيه نحو الحذر من الشيطان، وهذا يشكل جزءاً أساسياً من الهداية العامة. وعبادة الشيطان التي نهانا الله عنها إما تحمل على عبادة المعبودات الباطلة من دون الله تعالى، ففي هذا استجابة له ولوسوسته وتضليله. وإما تحمل على طاعته فيما يوسوس به إليهم من معصية الله، عبر عنها بعبادته لزيادة التنفير منها[٢].

وفي كل الأحوال فالبعد عن الشيطان، والحذر من سلوك سبيله جزء ركيز في الهداية العامة للبشرية، ولن تسلم البشرية من الشر والفتن ما لم تبتعد عن اتباع الشيطان في فتنته.

وهنا تنتهي الهدايات المأخوذة من الآيات المبدوءة بـ (يا بني آدم).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٤٦).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٧٠)، تفسير ابن عطية (٤/ ٤٥٩)، تفسير الرازي (٢٦/ ٢٩٨)، «التحرير والتنوير» (٢٣/ ٤٧)، التفسير الوسيط (٨/ ٣٧٩).

المطلب الثالث: مضامين آيات يا أيها الإنسان

هذا النداء لجنس الإنسان مخاطبا به أفراده، وسيق للتنبيه تنبيها يشعر بالاهتمام بالكلام والاستدعاء لسماعه؛ فليس النداء مستعملا في حقيقته؛ إذ ليس مرادا به طلب إقبال، ولا هو موجه لشخص معين أو جماعة معينة، بل مثله يجعله المتكلم موجها لكل من يسمعه بقصد أو بغير قصد(١).

الآية الأولى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩ ﴾ [الانفطار: ٦-٩].

تناولت الآية ما يلي:

عتاب للإنسان عن الغفلة:

هذه الآية تأتي عتاب للإنسان الذي يغتر برحمة الله، ويبتعد عن طريق الهداية؛ ففيها دعوة للإنسان للتفكر في غروره وغفلته عن الله الذي خلقه في أحسن تقويم. فكأن الله تعالى يقول: أيها الإنسان: أي شيء خدعك وجرَّأك على عصيانه؟ وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة والعراقيل الطامة، وما سيكون حينئذ من مشاهدة أعمالك كلها. ما الذي خدعك وسول لك الباطل حتى تركت الواجبات وأتيت بالمحرمات؟ ما الذي أمنك من عقابه؟ هذا إذا حملنا قوله: (يا أيها الإنسان) على جميع العصاة، وأما إذا حملناه على غير المسلم، فالمعنى: ما الذي دعاك إلى الكفر والجحد بالرسل، وإنكار الحشر والنشر؟(٢).

التذكير بنعم الله على الإنسان:

هذه الآية تُنبه الإنسان إلى النعم التي أكرمه الله بها، وتحثه على العودة إلى ربه وترك الغرور بالدنيا. وكأن الله يقول: يا أيها الإنسان اذكر نعمة الله عليك الذي خلقك فجعلك سويا

---

(١) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ٩٧)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٧١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ١٧٣)، (٣٠/ ٢٢١).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ٧٤-٧٥)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٢)، تفسير أبي السعود (١٢١/٩)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤١).

سالم الأعضاء (فَعَدَلَكَ) فصيَّرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه، فلم يجعل إحدى اليدين أطول، ولا إحدى العينين أوسع، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، ولا بعض الشعر فاحما وبعضه أشقر. أو جعلك معتدل الخلق تمشى قائما لا كالبهائم. (في أي صورة ما شاء ركبك) في أي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة، والشبه ببعض الأقارب وخلاف الشبه، ركبك ما شاء من التراكيب، يعنى تركيبا حسنا(١).

الآية الثانية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ١٥ ﴾ [الانشقاق: ٦-١٥].

تناولت الآية ما يلي:

التذكير بمسؤولية التكليف على الإنسان:

تشير هذه الآية إلى أن الإنسان يسعى ويكدح في حياته الدنيا، وأنه في جهاد مستمر في حياته إلى أن يلقى الله تعالى. والهداية التي يمكن فهمها هنا تتعلق بإدراك الإنسان أن حياته في الدنيا ما هي إلا رحلة إلى الآخرة، حيث سيحاسب على أعماله. وفيها توجيه للإنسان للتفكير في مصيره وإعداده لهذا اللقاء، وهذا التذكير بالمسؤولية يشكل جزءاً من الهداية العامة(٢).

□

(١) ينظر: تفسير الكشاف (٤/ ٧١٦).

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي (١٠/ ٤٧١)، تفسير الكشاف (٤/ ٧٢٦)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٧)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٣٢)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٦)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٢١).

التذكير بالحساب يوم القيامة:

هذه الآية تذكر الإنسان بأن كل أفعاله سيحاسب على كل ما قدم، وهو ما يدفعه للسير في طريق الهداية والابتعاد عن الضلال؛ فليكن عملك مما ينجيك من سخطه، ويوجب لك رضاه، ولا يكن مما يسخطه عليك فتهلك [1].

إلى هنا انتهت الهدايات المستفادة من آيات (يا أيها الإنسان).

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٥).

المطلب الرابع: طرق الإفادة من مضامين آيات الهداية العامة في حوار الحضارات

بالنظر والتأمل في المضامين التي تناولتها آيات الهداية العامة يمكن أن نقدم للعالم أجمع خطابا دعويا يساهم في إنجاح حوار الحضارات، ويمكن أن يكون منطلقا لتعزيز وتأكيد مساحة المشتركات بين الحضارات، بل ومنطلقا لتوسيع هذه المشتركات وإضافة قواسم مشتركة جديدة. وهذا الخطاب الذي أذكره هنا هو تلخيص للمضامين السابقة في الآيات، مع صياغتها بصورة تناسب ثقافات غير المسلمين.

ويمكن إجمال مفردات هذا الخطاب فيما يلي:

١ـ أهمية الإيمان بالله:

ونحن وإن كنا نعترف بحق الإنسان في الإيمان والتعبد على وفق معتقده، وأيضا لا نجبر أحدا على تغيير معتقده، إلا أننا لا نعتقد بتساوي جميع المعبودات في استحقاق الإيمان به، فلا نؤمن باستحقاق معبود لذلك إلا الله خالق العالم.

والإيمان بالإله يجب أن يثمر تدينا في المؤمنين حياة مستقيمة؛ لأنهم يعتقدون أن الله عالم بجميع الأشياء، وله طلاقة القدرة، وأفعاله تجري على مقتضى الحكمة التامة، وأنه يحتاج إليه البشر في احتياجاتهم الدنيوية والروحية.

وقد جمع الإمام أبو جعفر الطحاوي بعض هذه المعاني في قوله: "ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]" (١).

٢ـ الأديان والكتب السماوية طرق هداية للبشرية:

هذه الأديان جاءت عن طريق الرسل والأنبياء، وتضمنت الكتب السماوية منهجا ربانيا، وتشريعات سماوية، وهذه الأديان فيها برنامج مستقيم للحياة، ويجب العمل على تمكين هذا البرنامج في نفوس المتدينين بها، ونقل هذا البرنامج إلى غير المتدينين بها؛ لأنها في جانبها الأخلاقي خاصة لا حرج على الناس في اتباعها والتزامها.

---

(١) متن العقيدة الطحاوية، أبو جعفر أحمد بن محمد المصري المعروف بالطحاوي (ت ٣٢١هـ)، (ص: ١٠)، دار ابن حزم بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

ومع هذا فنحن نقرر ونعتقد أن الرسول سيدنا محمدا ﷺ هو آخر سلسلة طويلة من الأنبياء والرسل الذين نقلوا الهداية للناس، وأن القرآن الكريم هو العهد السماوي الأخير، ومع الرسول والقرآن جاءت الهدايات العامة والخاصة في صورتها الدائمة والمستقرة.

٣ـ الإنسان مختار ويتحمل وحده مسؤولية اختياراته:

وتم تأسيس هذا المبدأ على أساس أن الهداية والضلالة أمر شخصي، لا يتعدى لغيره، فهو وحده المثاب والمنعم من اهتدائه، وهو وحده المعاقب على ضلاله. وفي إطار هذه المسؤولية الشخصية فلا يمكن إرغامه على الهداية أو الضلالة، وأنه لا يناط برسل الله ولا أتباعهم جبر الناس على سلوك طريق الهداية.

ومما يتعلق بهذا أن الإنسان مكلف من الله تعالى، ومسؤول عند لقاء الله تعالى عن كل مسيرته في حياته على الأرض، وأنه لا يمكن للإنسان في هذا الموقف أن يلقي بالمسؤولية على غيره، وأنه سيجازى على أعماله.

٤ـ لزوم التقوى والاستقامة:

تعني التقوى استقامة السلوك الشخصي للإنسان، واستقامته في أفعاله وأقواله، بل حتى في مشاعره وأحاسيسه، مما ينتج عنه من لزوم الأخلاق الحميدة، وصدور الأفعال الصالحة والكلام الحسن، والمشاعر الطيبة. وهذه التقوى هي التي يتفاضل بها الناس عند الله تعالى. وهذا "مما يعزز من قدر القيم والآداب والأخلاق، فيوجه الخلق في الجملة إلى نمط راق من التعامل البشري، يقصد به المسلم المنزلة عند الله، ونيل رضاه، ويقصد به غير المسلم المثالية والرقي، ويكفي أن يرث ذلك من نبع القرآن"[(١)].

٥ـ وحدة الأصل الإنساني وما يترتب عليها:

نحن نؤمن بأن جميع البشر يرجعون في أصلهم إلى أصل واحد، الأب الأول سيدنا آدم، والأم الأولى سيدتنا حواء، وهذا يجعل من الأخوة الإنسانية بين أفراد البشر أمرا مقررا لا يجحد ولا ينكر ولا مساومة فيه، وأن هذه الأخوة توجب السعي في خدمة البشرية، ورعاية بعضنا البعض، وفي هذا المعنى يحكى أن رجلا قال لسيدنا معاوية:

(١) المدخل إلى أصول التفسير، أ.د/ أسامة الأزهري (ص: ٢٩-٣٠).

سألتك بالرحم التي بيني وبينك، وطلب منه أن يقضي له حاجته. فقال معاوية: أمن قريش أنت؟ قال: لا. أفمن سائر العرب؟ قال: لا. قال: فأية رحم بيني وبينك؟ قال: رحم آدم. قال: رحم مجفوة، والله لأكونن أول من وصلها، ثم قضى حاجته[1].

ووحدة الأصل الإنساني تفرض على الناس أن يعلموا أن بينهم صلات قرابة، قريبة وبعيدة، وهذه الأرحام التي بينهم توجب التعاون على صالح البشرية، والبعد عن الظلم والطغيان، والعمل على التعايش السلمي بين المجتمعات، ونشر الخير في العالمين.

ووحدة الأصل الإنساني تجعل جميع البشر متساوين في الحقوق والواجبات، ومتساوون في الكرامة الإنسانية، ولا يوجد بين البشر تصنيفات للإنسانية؛ فلا يوجد إنسان من مستوى فوق مستوى باقي البشر، وهذه المساواة لا تعني التساوي في كل شيء.

٦ـ تعارف الحضارات:

خلق الله الخلق، وانقسموا إلى شعوب وقبائل تفرقت في الأرض، فاستقلت كل أمة بتجربة بشرية عريقة، وتاريخ طويل، مشحون بالخبرات والعلوم والمعارف، والآداب والفنون، وموروث حضاري تكَوَّن عند كل أمة من تلك الأمم، على مدى قرون طويلة، والأمم في ذلك متفاوتة وطبيعة تلك العلوم عند الأمم مختلفة، بحسب ما اهتدت إليه كل أمة من تحديد مصادر معرفتها، وتصفية تلك المصادر وربطها بالله تعالى أو عدم ربطها به، وصار لكل أمة طبيعة وخصوصية.

ولا شك في أن كل أمة عندها تراث نافع للبشر أجمعين، وخبرات طويلة ينتفع بها الخلق كلهم، وعندها أيضًا حظ من تراثها الخاص بها من فكر منحرف، أو عقائد وثنية، أو أهداف قومية خاصة بها، أملت عليها توجها معينا، انطبعت به علومها وفنونها.

وليس المقصود بالتعارف ما يقع بين الأفراد، بل المقصود حركة تعارف أممية، يحدث فيها بين أمم البشر سريان للعلوم والمعارف، وتتبادل فيه الأمم الفنون والآداب، بحيث تطلع الأمم على موروث جديد لم تتوجه هي إليه، ثم يجري بعد ذلك ترشيح

(١) الأمالي، أبو علي القالي، (ت ٣٥٦هـ)، (٩٨/١)، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م.

وانتقاء من كل أمة للعلوم والمعارف الواردة عليه، فتقبل وترد، وتضيف وتكمل.

وقد جاء الشرع الشريف بدعوة عالمية إلى تعارف الأمم، وخاطب بها الناس أجمعين، وكان في إمكان المسلمين أن يقتنصوا تلك الدعوة، وأن يؤسسوا بها فكرة عالمية نسميها مثلا: (تعارف الحضارات)، بدلاً من فكرة (صدام الحضارات) التي بنيت على هوية وفكر لا يؤمن بالله ولا برسوله، فنظرته إلى الكون والحياة نظرة الصدام، وكان بوسعنا أن ندعو منذ قرون إلى عولمة قائمة على أصولنا وقيمنا وهويتنا، نحن نصنعها، أو نشارك فيها مشاركة مؤثرة، توصل هداية القرآن ومبادئه إلى الناس أجمعين(١).

٧ـ بيان ملكية الله للكون والإنسان سيد في الكون:

وبناء عليه لا يملك أحدا – سواء كان فردا أو دولة– تقرير مصير الأرض وسكانها لوحده. وأن جميع سكان الأرض لهم الحق في الانتفاع بما بثه الله في الأرض من مقدرات وثروات، مع مراعاة حق كل دولة في إدارة واستثمار ثرواتها ومقدراتها التي وهبها الله تعالى لهم.

وهذا الكون قد جعل الله الإنسان سيدا فيه، فهو سيد في الكون، وليس سيدا للكون، وأن "سيادة الإنسان على الكون سيادة انتداب، وليست سيادة تملك وتسلط مطلق، فالإنسان قائم بما يقوم به الموكَّل من الحفظ والرعاية"(٢).

وهذه الملكية الإلهية للكون، مع موقع الإنسان العظيم فيه، يدفعنا جميعا إلى الحفاظ على الأرض، وتنمية البيئة وتطويرها، والعمل استقرار المناخ، والسعي في الأرض بالتعمير لا بالتدمير.

٨ـ الاعتدال في التمتع بنعم الله في الكون:

هذا الكون بكل محتوياته من نعم الله تعالى، وأنها محض فضل إلهي؛ فعلى الناس أن يستذكروا هذا، وأن يؤدوا هذه النعم حقها من شكرها والحفاظ عليها. بل إن

---

(١) المدخل إلى أصول التفسير، أ.د/ أسامة الأزهري (ص: ٢٧–٢٩) بتصرف وتلخيص.

(٢) البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي، أ.د علي جمعة، (ص: ٥٢)، دار الوابل الصيب، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

كل ما وصل إليه البشر عبر تاريخهم الطويل من المعارف والصناعات والتقدم الحضاري هو من نعم الله على الإنسان، ولذلك على الإنسان التمتع بطيبات الحياة الدنيا باعتدال ودون إسراف، والحفاظ على هذه النعم لتوريثها للأجيال القادمة من البشر، وأن يستمروا في جهادهم الحياتي والعلمي والعملي لإفادة البشرية في الحاضر والمستقبل.

٩ـ التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا وفتنة الشيطان:

لا شك أن الأرض عامرة بالخيرات، وأن الدنيا ملأى بالملذات، وأن الانشغال بها يجعل الإنسان يقع في الغفلة، ويبتعد عن عمل الصالحات شيئا فشيئا، وهذا الشيطان يحاول شغل الإنسان عن حياة الاستقامة، ويحاول نشر الشرور والفتن بين البشر، ويعمل على إذكاء روح العداوة بين الناس، وتضخيم الاختلافات الطبعية بين البشر؛ من اختلاف الألسنة والألوان والأمزجة والبلدان والثقافات والانتماءات.

١٠ـ السعي نحو الكمال البشري:

والمقصود به الكمال الذي يجعل للجسد نصيبا وحظا، وللروح نصيبا وحظا، ويجعل للدنيا عملا وكدا، وللدار الآخرة عند لقاء الله عملا وكدا. وأن على الإنسان أن يتحلى بالقيم والأخلاق الفاضلة الجامعة للخير، فالمسلم وهو يعبد الله تعالى طلب منه أن يتجمل ظاهرا وباطنا، مظهرا ومخبرا، وأن تكون ثيابه طاهرة، وكذلك مكان صلاته، ومن لوازم الطهارة النظافة والنظام، فها هي العبادة يطلب لها الجمال والنظافة والنظام، ومنه يتوجب على المسلم أن ينطلق بهذه القيم إلى بقية سلوكه في الحياة الدنيا؛ فعلم من ذلك كيف يكون الكمال البشري المطلوب في حياة الإنسان.

تلك عشرة كاملة من مفردات الخطاب المستفاد من آيات الهداية العامة، والتي يمكن توظيفها في حوار الحضارات، والاستفادة منها فيه. وهذه العشرة أصول إجمالية يمكن تفصيلها وتحليلها واستخراج مفردات منها أكثر من هذا، وإفادة البشرية منها.

الخـــاتمة

بسم الله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ وبعد هذا النظر في آيات الهداية العامة، أسوق هنا جملة من النتائج والتوصيات؛ عساها تفيد القارئ والمطالع لها:

١- غزارة المعين القرآني واتساع موارده المعرفية والفكرية، والذي يمكن الإفادة منه في كل زمان ومكان، ولكنه يحتاج إلى العقول التي تستخرج هذه الفوائد الكثيرة..

٢- آيات الهداية العامة كنز يحتاج إلى مزيد من التأمل والاستفادة والتفكير العميق الساعي إلى خدمة الدين وتقديم الخطاب الدعوي المناسب لظروف العصر ومتطلباته.

٣- العالم في حاجة إلى خطاب دعوي يوقف غير المسلمين على محاسن الدين الإسلامي، وعلى رؤاه المساعدة على نشر السلم والأمن الدوليين.

٤- يجب على عالم اليوم والغد أن يحرص على تدعيم القواسم المشتركة بين الثقافات، وتحويلها إلى منطلقات تعاون وتكامل.

٥- أوصي الباحثين والمؤسسات المعنية بتحويل هذا البحث إلى ورشة عمل من أجل تطويره، والنظر في البناء عليه ليتم إنضاج هذا الخطاب الدعوي الذي يحتاجه العالم المعاصر، بل وعالم المستقبل.

٦- أوصي بإطلاق مبادرة مصرية من خلال مؤسسات الدولة للدعوة لمؤتمر عالمي للمساهمة في إطلاق خطاب إسلامي متجدد، يقدم للعالم دعوة الإسلام وهداياته، يحافظ هذا الخطاب على الأصول، ويبنى بلغة واضحة تناسب الإنسان في عالم اليوم والغد.

٧- أوصي بإقامة مؤتمر لحوار الحضارات تقيمه مصر، وتتعاون فيه مع المؤسسات الوطنية والدولية المهتمة بهذا الجانب، ويقدم فيه الأزهر الشريف الخطاب الحضاري باسم الإسلام لإنسان القرن الحادي والعشرين.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د. فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ذو القعدة ١٤١٧هـ إبريل ١٩٩٧م.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣- أسس حوار الحضارات في الإسلام، محمد جعرير، الأكاديمية للدراسات الانسانية والاجتماعية، جزء قسم العلوم الاجتماعية. العدد ١٩، ٢٠١٨م.

٤- الإسلام والغرب بين إشكاليات الصراع الثقافي وآفاق الحوار المنشود-مقاربة تحليلية نقدية، محمد شهمات، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الرباط، ٢٠٠٧م.

٥- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار – مايو ٢٠٠٢م.

٦- الأمالي، أبو علي القالي، (ت ٣٥٦هـ)، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٤٤ هـ – ١٩٢٦م.

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

٨- البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي، أ.د علي جمعة، (ص: ٥٢)، دار الوابل الصيب، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، من إصدارات: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (١٣٨٥- ١٤٢٢هـ ١٩٦٥- ٢٠٠١ م).

١٠- تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة:

الأولى، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م.

١١- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

١٢- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ.

١٣- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٤- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٥- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ-١٩٤٦م

١٦- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٠م.

١٧- التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣هـ.

١٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٩- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب -القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٢١- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٢٢- الحوار الحضاري رؤى واتجاهات، أ.د سعاد نزاري، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية – المجلد التاسع – العدد الخامس والاربعون مايو ٢٠٢٤م.

٢٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، المحقق: مراقبة محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م

٢٤- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق ١٢هـ)، ترجمة من الفارسية إلى العربية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٥- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي

٢٦- سمات العصر رؤية مهتم، أ.د. علي جمعة، دار الفاروق- القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٢٧- صدام الحضارات أم حوار الحضارات؟ دراسة مقارنة في جدلية الفكر الغربي والفكر الإسلامي، د. عمر خروبي بزارة، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب و الفلسفة، المجلد ١٣، العدد ٢ ، ٢٠٢١م.

٢٨- فتح الوهاب بشرح الآداب ومعه حاشية الدسوقي، القاضي زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق: د. عرفة النادي، دار أصول الدين – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

٢٩- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي بن محمد حامد الفاروقي الحنفي التهانوي (تبعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان – بيروت، ط١ – ١٩٩٦م.

٣٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م..

٣١- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣٢- لسان العرب، محمد بن مكرم، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

٣٣- متن العقيدة الطحاوية، أبو جعفر أحمد بن محمد المصري المعروف بالطحاوي (ت ٣٢١هـ)، دار ابن حزم بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٣٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٥- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

٣٦- المدخل إلى أصول التفسير، أ.د. أسامة السيد محمود الأزهري، دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

٣٧- المصنف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ)، تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، تقديم: ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م

٣٨- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى،

١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣٩- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

٤٠- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

٤١- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، طبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٢- موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، صدرت عن مركز تفسير للدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

٤٣- نظريات حوار وصدام الحضارات، محمد بو الروايح، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع-قسنطينة، ٢٠١٠م.

٤٤- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

فهرس المحتويات

المقدمة ٧٦٦
المبحث الأول: نظرية الهداية في القرآن الكريم ٧٧١
المطلب الأول: الهداية لغة واصطلاحا ٧٧٢
المطلب الثاني: الهداية في القرآن الكريم ٧٧٤
المطلب الثالث: آيات الهداية العامة في القرآن الكريم ٧٨٤
المبحث الثاني: التعريف بحوار الحضارات وضرورته البشرية ٧٨٩
المطلب الأول: تعريف حوار الحضارات ٧٩٠
المطلب الثاني: أهمية حوار الحضارات ٧٩٣
المبحث الثالث: مضامين آيات الهداية العامة والإفادة منها في حوار الحضارات ٧٩٧
المطلب الأول: مضامين آيات يا أيها الناس ٧٩٨
المطلب الثاني: مضامين آيات يا بني آدم ٨٢٢
المطلب الثالث: مضامين آيات يا أيها الإنسان ٨٢٧
المطلب الرابع: طرق الإفادة من مضامين آيات الهداية العامة في حوار الحضارات ٨٣٠
الخاتمة ٨٣٥
المصادر والمراجع ٨٣٦
فهرس المحتويات ٨٤١